

جامعة الحمدانية

كلية التربية للعلوم الإنسانية

مادة

النثر العباسي / المرحلة الثالثة

قسم اللغة العربية

إعداد

المدرس المساعد

مارلين صبري يوحانا

٢٠٢٣-٢٠٢٤ م

## النثر الفني : المفهوم والحدود

النثر الفني: هو أحد قسمي الأدب الرئيسيين ( الشعر والنثر ) ، لكنّه يتميز عن الشعر بخلوصه من كل قيد إلا قيد سلامة اللغة ، واستقامة المعنى ، وجودة التعبير ، أما الوزن والقافية فلا يختصان بالنثر، لغلبة العقل والمنطق عليه ولأن المقصود منه في الأساس حسن إيصال المعنى إلى فهم السامع أو القارئ ، وقد استعاض عنهما بالسجع .

ومن أنواعه : النثر الأدبي " الخطبة ، والأقصوصة ، والرواية ، والمسرحية ... الخ " ، النثر العلمي ، النثر الفلسفي ، والنثر الإجتماعي ..... .

والنثر الفني أيضاً : هو ما نجم عن تجربة فكرية وشعورية، تصاحبها غاية يهفو إليها الكاتب، وتنسج بأسلوب لغوي فني، متعدد الأشكال، والألوان، لكن بعناية، ويميل إلى السهولة ووضوح الفكرة مع الالتزام بالأساليب الفنية البليغة واللغة الفصيحة.

## النثر الفني العباسي

تميز العصر العباسي بمظاهر جديدة لم تكن معهودة من قبل في العصر الأموي ، تلك هي ظهور ثقافات جديدة وافدة ، انصبت على العرب من الأمم العريقة المجاورة. والذي لا ريب فيه أن هذه الثقافات الوافدة – فارسية وهندية ويونانية- قد أغنت طاقة اللغة العربية بفيض من المعاني العقلية والفلسفية. وبذلك أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشعبة تمدها روافد كبيرة من الفرس والهند واليونان.

وهكذا أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع ، فهناك:

١- النثر العلمي: الذي ساد في كتب الفقه والطب والفلك والتاريخ وتقويم البلدان.

٢- النثر الفلسفي: الذي غلب على كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

٣- النثر الفني الخالص أو النثر الأدبي: الذي تجلّى في كتب الأدب والنقد والرسائل والمقامات ..... .

كما أصبح النثر العربي في العصر العباسي في صورته الفنية متعدد الأنماط ، وكانت بعض صورته امتداداً للتقديم من مثل ما كان من خطب الخلفاء الأول من بني العباس وتوقعاتهم ، ومن ذلك أيضاً نثر ابن المقفع في طابعه العام.

وقد استحدثت العربية - حينئذ- أسلوباً متميزاً حيث استبعدت الألفاظ البدوية الغربية عن العصر والحضارة مع العناية في ذات الوقت بفصاحة اللفظ وجزالته واتخذت اللغة لنفسها أصولاً بيانية خاصة كما أفادت من بلاغة الأمم الأخرى.

وقد تفاعل النثر مع ثقافات العصر محتفظاً بمقوماته العربية الأصيلة ، فلم يحدث الازدواج اللغوي الذي يعرض اللغة للضياع ، بل وجدت فنون حديثة عن طريق المترجمين والمتكلمين والكتاب المجددين .

ومن الصواب القول أن العصر العباسي الأول كان بحق عصر النقل والترجمة ، وقد خطت الترجمة خطوات واسعة - في العصر العباسي الثاني على يد حنين بن اسحق وتلامذته.

### عوامل ازدهار وتطور النثر العباسي

تهيأت للنثر الفني في العصر العباسي أسباب كثيرة جعلته ينمو ويزدهر ، فقد أخذ يمتد ليستوعب العلوم والفلسفة ، كما يستوعب مادة عقلية عميقة حتى في المجال الأدبي.

ويمكن إجمال العوامل التي أثرت في تطور النثر في العصر العباسي فيما يلي:

١- ازدهار حركة الترجمة والتأثر بالآثار الأدبية الأجنبية والمناظرات والأفكار البلاغية لدى الفرس واليونان والهند.

٢- انتشار الوعظ والقصاص والنسك في المسجد والساحات والتفاف العامة حولهم.

٣- ظهور المذاهب الفلسفية وأقوال الحكماء في الثقافات الأجنبية في الأدب العربي.

٤- احتدام الجدل الديني وقيام المناظرات بين الفرق الإسلامية.

٥- ظهور المؤلفات المتخصصة في مجال النثر العربي وأهتمام الكتاب به في هذا العصر.

٦- ظهور حركة الترجمة حيث عملت على الامتزاج الثقافي.

٧- قدرته على استيعاب الثقافات الوافدة إلى البيئة العربية.

٨- تأثيره بالنثر الأموي والإسلامي.

٩- تأثيره ببلاغة وأساليب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

١٠- المذاهب الكلامية وأثرها في تعمق النثر العباسي.

١١- قوة اللغة العربية ورقبها والاهتمام بها في هذا العصر.

### مدارس النثر في العصر العباسي

#### أولاً / مدرسة الترسل :

تعود جذور هذه المدرسة إلى عبد الحميد الكاتب ( ت ١٣٢ هـ ) واستمرت إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، وقام أسلوبها على الترسل الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يقطع أجزاء ، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ، فلا سجع متعمد ولا إغراب في اللغة ، دون هجر السجع وألوان البديع هجرا تاما ، وإنما ترك الالتزام به ، وعدم اتخاذه منهجا متبعا لا محيد عنه .

وقد حمل راية الترسل فئة من أعلام الأدب العباسي بدءاً من ابن المقفع ( ت ١٤٢ هـ ) ومرورا بالجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ ) وانتهاءً بالتوحيدي ت(٤١٤ هـ ) الذي كان الشعلة الأخيرة في هذه المدرسة .

وهذه المدرسة تتفرع إلى فرعين :

الفرع الأول : مدرسة الترسل الطبيعي ورائدها ابن المقفع ، وتمتاز هذه المدرسة بإسلوب السهل الممتنع ، إذ جمع الوضوح والسهولة إلى جانب الجزالة والرصانة ، وقامت صنعته على التروي في اختيار الألفاظ وتفصيلها على قدر المعاني ، وهو بحكم تعدد ثقافته ، فقد جمع بين الإيجاز والإطناب بحسب مقتضيات الأحوال .

أما الفرع الآخر من هذه المدرسة فهو : مدرسة الترسل الصناعي أو مدرسة التحليل والاستقصاء ، والتي حمل لواءها الجاحظ وقد استمدت هذه المدرسة أسلوبها من رافدين هما:

١ . عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ هـ) القائمة على الإزدواج والإطناب .

٢ . سهل بن هارون (ت ٢١٥ هـ) القائمة على التحليل والتعليل والجدل والحوار .

وقد زاد الجاحظ على الأول جمال التقسيم والترادف المعنوي والموسيقي والاستطراد ، وزاد على الثاني النزعة الفكاهية الساخرة وتوليد المعاني حتى صار الأديب الأشهر لمدرسة الترسل ، وقد اقتدى به الكثير من الكتاب ، كإبن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، والمبرد (ت ٢٨٦ هـ) ، وقدامة (ت ٣١٠ هـ) ، وأبي بكر الصولي(ت ٣٣٥ هـ) ، وأبي حيان التوحيدي(ت ٤١٤ هـ).

سمات وخصائص مدرسة الترسل:

تتطلق مدرسة الترسل من جملة خصائص يمكن أن نرصدها على النحو الآتي:

١ . السهل الممتنع: وهو أسلوب يقوم على السهولة والوضوح وهو ما قصده ابن المقفع في حديثه عن البلاغة بأنها التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.

٢ - التوازن غير الملتزم بالسجع ، إذ يشابه الإيقاع الموسيقي لنهايات الجمل بل أحيانا بين أجزاء الجمل المتجاورة وهذا هو النثر المطبوع نقيض النثر المصنوع.

٣ - الاقتصاد في التعبير: وذلك بالاعتدال بين الإفراط والتفريط التعبيري ، والإيجاز كما يراه الجاحظ ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ ، وإنما يحذف بقدر الإمكان ما لا يكون سبباً لإغلاقه.

٤ . الإطناب المتمثل في تكرار الكلام ، بتصوير المعنى الواحد في غير صورة لفظية ، بحسب مقتضيات الكلام ، بمعنى أن الإطالة تأتي لفائدة.

٥- النزعة العقلية من خلال رؤيتها للغة بوصفها وسيلة وأداة لنقل المعاني دون تجاهل اللفظ ، انطلاقاً من دعوة الجاحظ إلى المزوجة ما بين المعنى الشريف واللفظ البليغ ، وقد طغت هذه النزعة على أعلام هذه المدرسة بدءاً من ابن المقفع فالجاحظ بمنهجه الاعتزالي العقلاني ، وانتهاء بالتوحيدي آخر نوابغ الأدباء في

هذه المدرسة التي يقرن مع الجاحظ بوصفهما ينتميان إلى مدرسة بيانية واحدة ، قوامها إجلال المعنى والعناية باللفظ ، والحرص على الطبع والنأي عن التصنع والميل إلى الإزدواج.

٦- وحدة الشكل والمضمون: وذلك باختيار اللفظ المناسب للمعنى في تأزر عضوي وتوازن خلاق بينهما؛ فالمعاني بحسب رأي التوحيدي ليست في جهة والألفاظ في جهة ، بل هي متمازجة متناسبة.

### ثانياً : مدرسة البديع والصنعة :

بدأت ملامح هذه المدرسة تظهر مع نهاية القرن الثالث الهجري حتى أصبحت الكتابة صنعة محضّة مع أواخر القرن الرابع الهجري ، إذ عمد الكتّاب إلى استعمال البديع والسجع ، وأخذوا يعنون بالشكل أكثر مما يعنون بالمضمون ، وقد خضعت هذه المدرسة في تطورها إلى ما أصاب الحياة الإجتماعية من تعقيد على مختلف الصعد سواء في تمييق الألبسة وتطريزها أو في تلوين الأطعمة وسائر مرافق الحياة.

وكان لكثّاب الدواوين الأثر الأكبر في شيوع السجع في الكتابة الديوانية ، وبخاصة في نهاية القرن الثالث الهجري فيشير شوقي ضيف إلى أن السجع أصبح عادة في كل ما يصدر عن الدواوين فليس هناك وزير ولا كاتب إلا وهو يتخذ السجع في كتابته.

ونشاهد ذلك في كتابات ابي العلاء المعري ، إذ قام تصنعه على ضروب من التعقيد فاقت سابقه أمثال بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٥ هـ) ، فكان يعمد إلى الإغراب في اللغة ، ولاسيما في رسالة الغفران وكتاب الفصول والغايات وامتد تعقيده إلى شعره فلزم ما لا يلزم فيه .

وبلغ التعقيد والتصنيع غايته في القرن السادس للهجرة وأشهر الموهلين في ذلك يحيى بن سلامة الحُصكفي (ت ٥٥١ هـ) الذي أكثر من الجناس بأنواعه المختلفة إلى جانب الصور المعقدة ، وبعده جاء القاضي الفاضل ( ٥٩٦ هـ) الذي أكثر من استعمال الأساليب اللفظية والمحسنات البديعية ، كسابقه ، إلا أنه أكثر من التورية والجناس حتى أصبحت الكتابة عنده عبارة عن ألفاظ منمقة.

### سمات وخصائص مدرسة البديع والصنعة:

تنطلق مدرسة الصنعة من جملة خصائص يمكن أن نحددها بما يلي:

- ١ . إيثار اللفظ على المعنى ، فالكتابة خرجت عن غايتها من التعبير عن المعاني إلى إظهار البراعة اللغوية في ميدان البديع ، وتحولت لدى أصحاب المقامات إلى غاية تعليمية.
- ٢ . اصطناع التعقيد: وتجلّى ذلك في استعمال الألفاظ الوحشية والغريبة ، وآثروا على مستوى التركيب وبناء الجملة التعقيد الذي يدفع بالمعنى إلى الغموض والإيهام.
- ٣ . العناية بالسجع في الرسائل الديوانية والأدبية فضلا عن المقامات ، وتفاوت الأدباء في استعماله ، إذ جعله بعضهم جزءا من نسيج النص الأدبي. في حين أسرف بعضهم فيه إسرافا طغى على المعنى.
- ٤ . الإطناب بالعبارات المرصوفة: فقد دفعهم الإسراف في التعبير إلى زيادة الألفاظ على المعاني دون فائدة وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد دون داع بلاغي أو معنوي ، مع ظهور آثار الثقافة ، كالتاريخية من خلال استعمال الإشارات والحوادث التاريخية ، والدينية والمتمثلة في استعمال الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والأدبية والتي تتمثل في تضمين الشعر والأمثال والحكم في بعض الرسائل .

### أنواع النثر الفني العباسي

أولاً / النثر الشفاهي :

أ / الخطابة : المفهوم والخصائص وأهم الأنواع :

شهد فن الخطابة رواجاً وازدهاراً في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، وذلك لأهمية الخطابة وقوة تأثيرها ، ولتوفر حرية القول ، ومن هنا احتلت الخطابة موقعاً متقدماً بين فنون القول النثرية ، فكانت ذات مكانة مهمة ومستوى فني رفيع في العصور المذكورة .

جاء العصر العباسي فحافظت الخطابة على مكانتها ومستواها الرفيع في بداية العصر ، لكنها لم تلبث على ذلك طويلاً حتى خفتت ، ويرجع هذا الخفوت إلى سببين رئيسيين هما:

١- أن العباسيين لم يطلقوا لها الحرية التي كانت تؤدي إلى قوتها وازدهارها من قبل.

٢- أن فنوناً نثرية أخرى نافستها على مكانتها .

## خصائص الخطابة:

١. الميل إلى الإيجاز والوضوح أكثر من الإطالة.
٢. استخدام الآيات القرآنية والأحاديث بكثرة.
٣. التأثر بالمنطق والفكر الفلسفي.
٤. عناية بالأسلوب الأدبي والجزالة اللغوية.

## أنواع الخطابة

إذا نظرنا إلى أنواع الخطابة العباسية فإننا نجد أنها مماثلة للأنواع السائدة فيما سبقه من عصور ، وهي: الخطب السياسية ، والخطب الدينية ، والخطب الحربية ، وخطب الوفادة والاحتفالات أو الحفلية ، وسوف نعرض لهذه الأنواع .

### • الخطب السياسية :

كان العباسيون في بداية عهدهم يسعون إلى تثبيت حكمهم وتوطيد الدعائم لملكهم ، فاستخدموا الخطابة للدفاع عن أنفسهم واجتذاب الناس إليهم ، ومن هنا فقد حافظت الخطابة السياسية على مكانتها ومستواها في عهود الخلفاء العباسيين الأوائل ، غير أن العباسيين بعد أن استتب لهم الأمر عملوا على إخماد الأصوات ، فضعفت الخطابة السياسية لعدم توفر حرية القول ، ولضعف الأحزاب السياسية المعارضة.

ومن الخطب السياسية التي قيلت في أوان ازدهار الخطب السياسية في هذا العصر ، خطبة أبي العباس عبد الله بن محمد المعروف بالسفاح من ذلك قوله حين بويع بالخلافة :

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ، فَكَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ، وَاخْتَارَهُ لَنَا وَأَيَّدَهُ بِنَا، وَجَعَلَنَا أَهْلَهُ وَكَهْفَهُ وَحِصْنَهُ، وَالْقَوْمَ بِهِ وَالذَّابِينَ عَنْهُ، وَالنَّاصِرِينَ لَهُ، وَخَصَّنَا بِرَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنْبَتَنَا مِنْ شَجَرَتِهِ، وَاشْتَقَّتْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ كِتَابًا يُتْلَى"

### • الخطب الدينية :

هذا النوع من الخطب يختص بالشعائر الدينية التي تُلقى في الأعياد وأيام الجمع، وقد كانوا يستمدون خطبهم من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وقصص الأنبياء والمرسلين، والخطب الدينية لها أهمية وأثر كبير في

نفوس جميع المسلمين، فمن خلالها يستطيع الخلفاء والقادة التوجيه إلى تقوى الله تعالى وخشيته وتكون نابعة من قلوب صادقة مفعمة بالإخلاص ، ومن هذه الخطب ما قاله الخليفة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير والتحميد :  
 " إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ أَبَانَ اللَّهُ فَضْلَهُ، وَأَوْجَبَ تَشْرِيفَهُ، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ، وَوَفَّقَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ صَفَوْتَهُ، وَابْتَلَى فِيهِ خَلِيلَهُ، وَفَدَى فِيهِ مِنَ الذَّبْحِ الْعَظِيمِ نَبِيَّهُ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَيَّامِ الْمَعْلُومَاتِ مِنَ الْعَشْرِ، وَمَقَدَّمَ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ مِنَ النَّفْرِ، يَوْمٌ حَرَامٌ مِنْ أَيَّامِ عِظَامٍ فِي شَهْرِ حَرَامٍ، يَوْمٌ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، يَوْمٌ دَعَا اللَّهُ إِلَى مَشْهَدِهِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ بِتَعْظِيمِهِ."

#### • الخطب الحربية :

كان قادة الجيوش والخطباء المرافقون لكل جيش يلهبون حماس المقاتلين بالخطب قبل المعركة ، ويلقون الخطب في أعقاب المعارك للتهنئة بالانتصار ، ومن هذه الخطب خطبة طاهر بن الحسين، وقد عبأ كتائبه، وسوى صفوفه، وجعل يمر بقائد قائد، وجماعة جماعة ، وهو يقول: " يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَأَهْلَ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ، إِنَّكُمْ لَسَنْتُمْ كَهَوْلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ مِنْ أَهْلِ النَّكْتِ وَالْغَدْرِ، إِنَّ هَوْلَاءِ ضِيَعُوا مَا حَفِظْتُمْ، وَصَغُرُوا مَا عَظَّمْتُمْ، وَنَكثُوا الْأَيْمَانَ الَّتِي رَعَيْتُمْ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ الْبَاطِلَ، وَيُقَاتِلُونَ عَلَى الْغَدْرِ وَالْجَهْلِ، أَصْحَابَ سَلْبٍ وَنَهْبٍ، فَلَوْ قَدْ غَضَضْتُمْ الْأَبْصَارَ، وَأَثْبَتْتُمُ الْأَفْئَامَ، قَدْ أَنْجَرَ اللَّهُ وَعَدَهُ، وَفَتَحَ عَلَيْكُمْ أَبْوَابَ عِزِّهِ وَنَصْرِهِ، فَجَالِدُوا طَوَاغِيَتِ الْفِتْنَةِ، وَيَعَاسِبِ النَّارِ عَنْ دِينِكُمْ، وَدَافِعُوا بِحَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ."

#### • الخطب الحفلية :

هي نوع من أنواع الخطب التي تُلقى في المواسم الكبار وفي المناسبات العامة كالمآتم والأفراح والوفود، بالإضافة إلى المحافل العظام، وتُلقى كذلك في مجالس الخلفاء والملوك والأمراء، وفي كافة الأندية العامة والخاصة، وذلك بأهداف وأغراض تتعلق بالحياة ومظاهرها الاجتماعية، وهذا النوع من الخطابة له أهميته الخاصة لما له من أثر كبير في توطيد العلاقات بين أفراد المجتمع ، ومن هذه الخطب خطبة ابن عتبة لما دخل مع الخطباء على المهدي، يعزیه بوفاه المنصور ويهنئه بإستلام الخلافة ، فسلم ثم قال:

"أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ، وَبَارَكَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا خَلَفَهُ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَهُ، فَمَا مُصِيبَةٌ أَعْظَمَ مِنْ فِدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا عُقْبَى أَفْضَلُ مِنْ وَرَائَةِ مَقَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَاقْبَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ، وَاحْتَسِبْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ الرِّزْيَةِ."

من خطب الخليفة المهدي العباسي :

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ارْتَضَى الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ، وَرَضِيَ بِهِ مِنْ خَلْفِهِ، أَحْمَدُهُ عَلَى آلَانِهِ، وَأَمَجَّدُهُ لِبِلَائِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُؤَمِّنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ تَوَكُّلَ رَاضٍ بِقَضَائِهِ، وَصَابِرٍ لِبِلَائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، أَرْسَلَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ، وَطُمُوسِ الْعِلْمِ، وَاقْتِرَابِ مِنَ السَّاعَةِ، إِلَى أُمَّةٍ جَاهِلَةٍ مُخْتَلِفَةٍ أُمَّيَّةٍ، أَهْلِ عِدَاوَةٍ وَتَضَاغُنٍ، وَفُرْقَةٍ وَتَبَايُنٍ، وَغَلَبِ عَلَيْهِمْ قُرْبَانُؤُهُمْ، فَاسْتَشْعَرُوا الرَّدَى، وَسَلَكُوا الْعَمَى، يُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَكَرِيمِ ثَوَابِهَا، وَيُنذِرُ مَنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ وَالْأَلِيمِ عِقَابِهَا، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِنَا، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ الْاِفْتِصَارَ عَلَيْهَا سَلَامَةٌ، وَالتَّرَكُّ لَهَا نَدَامَةٌ، وَأَحْتَكُمُ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ، وَتَوْفِيرِ كِبْرِيَاءِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُنْجِي مِنْ سَخَطِهِ، وَيُنَالُ بِهِ مَا لَدَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ وَجَزِيلِ الْمَأْتَبِ. اجْتَنِبُوا مَا خَوَّفَكُمُ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ، وَالْأَلِيمِ الْعَذَابِ، وَوَعِيدِ الْحِسَابِ، يَوْمَ تُوَفَّقُونَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ، وَتُعْرَضُونَ فِيهِ عَلَى النَّارِ.

فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَبِلَاءٍ وَشُرُورٍ، وَاضْمِحْلَالٍ وَزَوَالٍ وَتَقَلُّبٍ وَانْتِقَالٍ، قَدْ أَفْنَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ، وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ، وَمَنْ أَمَلَهَا كَذَبَتْهُ، وَمَنْ رَجَاهَا خَذَلَتْهُ؛ عِزُّهَا ذُلٌّ، وَغِنَاهَا فَقْرٌ، وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا، وَالشَّقِي فِيهَا مَنْ آثَرَهَا، وَالْمَغْبُونُ فِيهَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا.

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ، فَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، قَبْلَ أَنْ تُوَخَّدُوا بِالْكَظْمِ وَتَتَدَمَّوْا، فَلَا تَتَأَلَوْنَ النَّدَمَ فِي يَوْمِ حَسْرَةٍ وَتَأْسَفٍ وَكَآبَةٍ وَتَلَهْفٍ، يَوْمَ لَيْسَ كَالْأَيَّامِ، وَمَوْقِفٍ ضَنْكَ الْمَقَامِ.

وَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، وَأَبْلَغَ الْمُوعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أُوصَاكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ". وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ

تحليل الخطبة :

تتضمن هذه الخطبة عدة أفكار :

أولاً : حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، والشهادة لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة ، كما هو معلوم شرعاً في مقدمة الخطبة .

ثانياً : حاجة العرب إلى رسالة محمد ، لما كانوا عليه من جهالة جهلاء وضلالة عمياء ، تحكمت فيها العصبية القبلية وهانت الأنفس والدماء ، والقوي يأكل الضعيف وعداوة مستحكمة فأصلح أحوالهم ونقلهم من الظلمات إلى النور .

ثالثاً : الوصية بتقوى الله وإنذار من عصى بعذاب الله الشديد ، وبشارة من اطاعه بجنة عرضها السموات والأرض أعدها الله لعباده الصالحين يوم يقوم الناس لرب العالمين .

رابعاً : التركيز على الوعد والوعيد والتحذير من الركون إلى الدنيا فهي دار غرور وبلاء وشرور .

خامساً : عدم الركون إلى الدنيا لتقلب أحوالها ، وعدم الثقة بعطائها ونعيمها فهي إلى زوال وهي دار شرور وبلاء وغرور لا ترعى عهداً ولا تحفظ مودة كم من عزيز من أهلها ذل ، وكم من غني افتقر .

سادساً : الحض على التوبة ، وتحقيق شروط قبولها والمبادرة بالأعمال الصالحة ، لنيل رحمة الله تعالى . لأن السعيد من ترك التعلق بالدنيا وأثر ما عند الله على ما سواه ، والشقي من باع آخرته للحصول على نعيم زائل وجاه زائف .

سابعاً : التنكير بيوم القيامة يوم الحسرة والأسف والندامة .

ثامناً : الوصية في آخر الخطبة بالالتزام بكتاب الله ، فهو أحسن الحديث وفيه أبلغ موعظة ، والتنكير بطاعة الله تعالى .

### الأساليب البلاغية التي تتضمنها الخطبة:

١. أسلوب الإفتتاح:

يبدأ بـ "الحمد لله"، وهو أسلوب خطبي تقليدي يبعث الطمأنينة ويهيئ السامع.

٢. التكرار:

تكرار لفظ الحمد و الله و عباد الله يعطي إيقاعاً قوياً ويشد الانتباه.

٣. المقابلة - الطباق:

مثل: عزها ذل - غناها فقر، السعيد - الشقي.

هذا يبرز المفارقة بين حال الدنيا والآخرة.

٤. الجناس:

مثل: ندامة - سلامة، غرور - سرور، مما يكسب النص موسيقى لفظية.

٥. التشبيه والاستعارة:

استشعروا الردى : استعارة تمثّل الموت لباسًا يلبسه الإنسان.

سلكوا العمى : استعارة للحيرة والضلال.

٦. التوازي:

الجميل مرتبة في نسق متوازن: من ركن إليها صرعته، ومن وثق بها خانتها، ومن أملها كذبتة، ومن رجاها خذلتها.

هذا الأسلوب يرسّخ الفكرة في ذهن السامع.

ب/ المناظرات : المفهوم والخصائص وأهم الأنواع :

المناظرة في اللغة، تعني المثل وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك في كل شيء.

أما اصطلاحًا، فقد ذكر أحمد بن فارس في مجمل اللغة أن المناظرة شكل من أشكال الجدل الفكري، وهو يعتمد على الخطاب الشفوي، والمناظرة تقوم على طرح الخصمان فكرهما، وتقديم الحجج والبراهين العقلية والشواهد الدينية أو الشعرية؛ لإقناع الآخر.

وهي المحاججات التي وقعت بين أصحاب الكلام والعلم والفلسفة والدين ، ولقد أسهمت هذه المناظرات التي كانت تعقد بين العلماء والمحدثين والفقهاء والفلاسفة في إغناء وتطور الثقافة الإسلامية تطورا كبيرا من حيث الطريقة والأسلوب ومن حيث المعنى والفهم. وتعد فرقة المعتزلة من الفرق التي أسهمت في تنشيط هذه الحركة الثقافية وعلى رأس هؤلاء المعتزلة "واصل بن عطاء - عمرو بن عبيد". ونهض النثر العباسي من خلالهما نهضة رائعة حتى إن المتكلم كما يقول الجاحظ :لا يعد جامعاً لأقطاب الكلام إن لم يحسن كلام الدين والفلسفة

والعلوم الأخرى. وقد عقدت هذه المناظرات في العصر العباسي رداً على الملحدين والزنادقة من جهة ، وتفنيدياً لدور العقل في الدين وارساء لمبدأ أحقية الخلافة ، وكانت هناك نظريات كلامية في الروح والنفس والحواس والجسم والخير والشر والاستطاعة ، والقدر ثم انتقلت هذه المناظرات من الجانب الديني إلى الجانب النحوي كما حدث بين الكسائي الكوفي وبين البصري . وقد شجع الخلفاء أصحاب العلم في المناظرات فكانوا يعقدون لهم المجالس ، كما صنع البرامكة وعلى رأسهم يحيى بن خالد البرمكي ، وكما صنع المأمون ، وكما حصل في عصر المعتصم من جدال حول مسألة خلق القرآن ، وقد تحدث المسعودي عن هذه المناظرات وذكر من أصحابها:

أبو هذيل العلاف ، و أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام. وكانت الخلافة تجري عليهم الرواتب الشهرية ، وكانت معظم المناظرات تدور بين المعتزلة ومن يعتنقون التشيع الغالي وأرباب الملك السماوية ، والنحل غير السماوية من الدهرية والمانوية.

وقد عقد أهل المناظرات مناظرة بين الكلب والديك فذكروا مساوئ الديك ومحاسنه ، ومحاسن (منافع) الكلب ومساوئه وهكذا .

### خصائص المناظرات :

الخصائص التي تميزت بها المناظرات الأدبية في العصر العباسي وأدت إلى انتشارها فيما يأتي:

١. تطور ونضوج الحركة العلمية في ذلك العصر.
٢. كان الخلفاء حينها يعطون مجالس المناظرات أهمية كبيرة واهتماماً ملحوظاً.
٣. تنوعت مواضيع المناظرات وأصبحت تشمل المضامين والمواضيع السياسية والدينية والأدب والنحو وأنواع كثيرة ومتعددة ذات أهمية للناس في ذلك العصر فازدهرت وأصبح الناس يهتمون بها بشدة ولا يضيعوا أي مجلس يقام به مناظرة بين فرق أو بين شعراء أو بين علماء.

## أنواع المناظرات في العصر العباسي

### • المناظرات السياسية والدينية

هناك نظريات عديدة جرت حولها المناظرات، وأهم هذه المناظرات، مناظرة خلق القرآن وهي أول مناظرة سياسية دينية، وقد اشتهرت المناظرات حول الخلافة أو الحكم، ولم تتوقف في أي وقت من الأوقات، وكانت هناك صراعات أخرى دارت حولها المناظرات من بينها، الصراع بين الشعبيين والعرب، وفي ظل الدولة العباسية صار للعجم عامة، وللفرس بصورة خاصة مكانة عالية، واحتلوا في الدولة مناصب سامية، وبدأوا يتعالون على العرب ويحتقرونهم، ورد العرب عليهم افتراءاتهم .

وهناك المناظرات الدينية التي كانت تدور حول مسألة تختص بالدين الإسلامي، أو غيره من الأديان، وقد كانت كثيرة وتتصف بأنها ذات أهمية للناس لأنها تمس دينهم بشكل مباشر، وتتقاطع في بعض الأحيان مع الأمور السياسية، مثل قضية الإمامة التي ناظر فيها الخوارج أهل السنة ، وهناك مناظرات كثيرة في السياق الديني كان الخلفاء رعاتها، فقد ذكر أن هارون الرشيد رعى مناظرة بين الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن حول مواضيع فقهية، ولا ننسى مناظرة الإمام أحمد حنبل في قضية خلق القرآن المشهورة.

### • المناظرات النحوية

شاعت في العصر العباسي المناظرات النحوية، فقد كانت هي الأخرى كثيرة، وكان الخلفاء يعنون بها؛ ذلك لاتساع الجدل في علم النحو، وظهور مدارس نحوية متعددة، مختلفة الآراء والمذاهب، ومحاولة كل مدرسة بيان حجتها وصحة رأيها على الأخرى، وجدير بالذكر أن طرح قضية المناظرة الزنبورية بين سيبويه والكسائي، وكيف استطاع الأخير أن يحتال على سيبويه وينتصر بالمناظرة النحوية، فقد قام الكسائي بتوجيه سؤال لسيبويه عن جواز الرفع والنصب في قولنا: " قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسَعَةً مِنَ الزُّنْبُورِ، فَإِذَا هُوَ هِيَ."، فأقر سيبويه بجواز الرفع من غير النصب، إلا أن الكسائي أحتال عليه بأن أشهد زورًا مجموعة من الأعراب على صحة قوله بأنه يجوز فيها النصب والرفع.

### • المناظرات الأدبية المتخيلة

وهي التي تجري في مخيلة الكاتب، سواء بين شخصيات بشرية متخيلة، أو بين جمادات أو حيوانات، وهذه المناظرات يطلق فيها الكاتب العنان لخياله في مناقشة قضايا قد تكون جديدة وغير متناولة، مضيفًا عليها طابعًا

من التجديد في الأسلوب والعرض، بالإضافة إلى أنه وسيلة له لاستعراض ثقافته وفكره ومعلوماته ، فهذه المناظرات المتخيلة يكون الحكم فيها محسوماً من قبل في ذهن الكاتب، ويكون متجهراً لأية حجة يمكن أن تدعم الرأي المخالف له، وأن يفنّدها دون أن يجد من يرد عليه، وينظر للموضوع من زاوية أخرى .

من الثابت أن المعتزلة برعوا في المنطق والقياس، ولكن براعتهم لم تقتصر على هذا الجانب العقلي فحسب، ولكنهم اجتمعوا في انتقظ الأساليب اللغوية والأدبية فقد ثبت أنهم أهل فصاحة عرفوا اللغة وعرفوا كثيراً من دقائقها وأسرارها، فقد وجهوا عنايتهم إلى البيان والأسلوب، وكانوا بطبيعة تفكيرهم أقدر الناس على تفهم دقائق اللغة، لما توافر لهم من الفصاحة والبيان.

### نموذج من المناظرات في العصر العباسي

"حكي أن النظام جاء به أبوه وهو حديث إلى الخليل بن أحمد ليعلّمه. فقال له الخليل يوماً، يمتحنه، وفي يده قدح زجاج: "يا بني، صف لي هذه الزجاجه". فقال: "أبمدح أم بدم؟" فقال: "بمدح". فقال: "نعم، تريك القدي، ولا تقبل الأدي، ولا تستر ما وراءها". فقال: "فدّمها". فقال: "سريع كسرّها، بطيء جبرّها".

فقال: فصيف هذه النخلة، وأوماً إلى نخلة في داره. فقال: "أبمدح أم دم؟" فقال: "بمدح". فقال: "هي حلوة مجتّناها، بأسق منتهاها، فأخر أعلاها". فقال: "فدّمها". فقال: "هي صعبة المرتقى، بعيدة المجتّى، مخفوفة بالأدي". فقال الخليل: "نحن إلى التعلّم منك أحوج".

١. النص ينتمي إلى النثر التعليمي والأدبي، ويجمع بين السرد القصصي والخطابة التعليمية.

٢. يحتوي على حوار بين المعلم والمتعلم، مما يبرز أسلوب التعليم العملي المباشر.

#### • الغرض البلاغي:

١. تعليم فن الوصف: يوضّح الخليل للمتعلّم كيف يصف الأشياء بدقة، سواء بالمدح أو الذم.

٢. تربية الذوق اللغوي: يعلم النظر إلى الصفات الإيجابية والسلبية للأشياء وإتقان التعبير عنها.

٣. صقل مهارات النقد والفهم: من خلال المقارنة بين المدح والذم، ومعرفة المزايا والعيوب.

#### • الأساليب البلاغية في النص:

١. الحوار والاختبار: الحوار بين الخليل والنظام: طريقة تعليمية لتقوية الفهم والملاحظة.

أسلوب السؤال والجواب: "أبمدح أم بدم؟" يفرض على المتعلم التفكير قبل الإجابة ، ويخلق إيقاعاً متكرراً

ومنسقاً، و يعزز الحفظ والفهم .

٢. التكرار: تكرر سؤال "أمدح أم بدم؟" يعطي تركيزاً على الفكرة التعليمية ويبرز أهمية التفريق بين المدح والذم.

٣. المقابلة والطباق: في وصف الزجاجاة: تريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراءها.

في وصف النخلة: حلو مجتاه، باسق منتهاه، فأخر أعلاه مقابل صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالأذى.

هذا التضاد بين الصفات الإيجابية والسلبية يوضّح القدرة على استخدام اللغة في مدح الشيء أو ذمه.

٤. الصور البلاغية: الاستعارة والإيجاز: "تريك القذى" / استعارة عن الشفافية أو الكشف عن العيوب.

"محفوفة بالأذى" / استعارة عن الصعوبة والمخاطر المحيطة.

الوصف الحسي: استخدام أوصاف ملموسة (حلو، باسق، صعبة) لتقريب الصورة للقارئ.

٥. أسلوب الختام: الخليل يختم ب: "نحن إلى التعلم منك أحوج" / تأكيد على أهمية التعلم والمعرفة، وإظهار

الاحترام للمتعلم المتفوق.

### ج / المواعظ : المفهوم والخصائص وأهم الأنواع

كانت الحُجب قد أسدلت بين الخليفة والرعية، ولم يعد لوفود العرب وخطبائهم سبيل إلى قصور خلفاء بني العباس، لذا فإنّ الواعظين المتواغدين بتلك القصور القوا على أسماع أصحابها مواعظ، تبعث الوجل في القلوب والدمع في العيون. ولم يقتصر هؤلاء الوعّاظ على إلقاء مواعظهم على رجال الدولة، بل كانوا يعظون الناس في المساجد وغيرها من الأماكن التي يجتمع فيها الناس.

### خصائص المواعظ :

١. كانت مواعظهم تخاطب القلب والعقل معاً، ولهذا فقد وُجدت؛ فيها الأدلة والبراهين والأقيسة المنطقية، في أسلوب خطابي مؤثر.

٢. بدت مواعظ الوعّاظ وكأنّها (ردّ اعتبار) للخطابة التي وهنت في هذا العصر.

٣. كثيراً ما يستمد الوعّاظ من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأقوال الصحابة وسيرهم العطرة، و قصص الأمم البائدة، وأشعار الزهد والوعظ.

## أنواع المواعظ :

يمكن تقسيم المواعظ على قسمين :

- المواعظ العامة التي تُلقى في المساجد والساحات والمحافل العامة التي يحضرها جمهور كبير. وهي تعالج قضايا عامة ومشاكل لها حظ من الانتشار في المجتمع.
- المواعظ الخاصة التي تُقال في الدور والقصور، وهي تعالج - في الغالب - قضايا ظلم الأقياء للضعفاء وتحيفهم على الآخرين وإسرافهم على أنفسهم، ولهذا يكثر في المواعظ الخاصة الحديث عن العدل والحثّ عليه، والزجر عن الظلم واقتراف المعاصي.

وقد كثرت المواعظ في العصر العباسي كثرة بالغة، إذ كان علماء الدين والزهاد والمصلحون يحاولون، كلما لاحظوا جنوحاً عن جادة الدين، أن يردّوا الجانحين وأن يبيّنوا للناس السبيل القويم، وذلك بتذكيرهم بأحكام الله وضرب الأمثال وذكر أخبار الأمم السالفة، وتخصّص في هذا المجال وعَاط أخذوا يجوبون شتى البقاع الإسلامية لوعظ الناس وإرشادهم، وكان الخلفاء يستقدمون أحياناً مَنْ يعظهم، لينتفعوا بكلامه ووعظه، وكانوا في هذه الأحوال يتحرّون استقدام مَنْ يأنسون فيه الصدق والصراحة.

## نماذج من المواعظ :

"أنّ أبا جعفر المنصور استقدم عبدالرحمن بن زياد بن أنعم القيرواني الذي حكى لقاءهما بقوله : كُنْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ مَعَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ. فَأَدْخَلَنِي يَوْمًا مَنْزِلَهُ، فَقَدَّمَ إِلَيَّ طَعَامًا وَمَرِيقَةً مِنْ حُبُوبٍ لَيْسَ فِيهَا لَحْمٌ، ثُمَّ قَدَّمَ إِلَيَّ زَبِيبًا. وَقَالَ: يَا جَارِيَةُ، عِنْدَكَ حَلْوَى؟ قَالَتْ: لَا. قَالَ: وَلَا التَّمْرُ؟ قَالَتْ: وَلَا التَّمْرُ. فَاسْتَلْقَى ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف/ ١٢٩).

فَلَمَّا وَلِيَ الْمَنْصُورُ الْخِلَافَةَ، أَرْسَلَ إِلَيَّ وَأَنَا بِأَفْرِيقِيَّةَ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، وَالرَّبِيعُ - حَاجِبُهُ - قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ، فَاسْتَدْنَانِي وَقَالَ: يَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ كُنْتَ تَقْدُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ. قُلْتُ: أَجَل. قَالَ: فَكَيْفَ رَأَيْتَ سُلْطَانِي مِنْ سُلْطَانِهِمْ؟ وَكَيْفَ مَا مَرَرْتَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى وَصَلْتَ إِلَيْنَا؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَيْتُ أَعْمَالَ سَيِّئَةً وَظُلْمًا فَاشِيًا، وَاللَّهِ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - مَا رَأَيْتُ فِي سُلْطَانِهِمْ شَيْئًا مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ إِلَّا وَرَأَيْتُهُ فِي سُلْطَانِكَ، وَكُنْتُ ظَنَنْتُهُ لِبُعْدِ الْبِلَادِ مِنْكَ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا دَنَوْتُ كَانَ الْأَمْرُ أَعْظَمَ.

أَتَذْكُرُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - يَوْمَ أَدَخَلْتَنِي مَنْزِلَكَ، فَقَدَّمْتَ إِلَيَّ طَعَامًا وَمُرِيقَةً مِنْ حُبُوبٍ لَيْسَ فِيهَا لَحْمٌ، ثُمَّ قَدَّمْتَ زَبِيبًا، ثُمَّ قُلْتَ: يَا جَارِيَّةُ، عِنْدَكَ حَلْوَى؟ قَالَتْ: لَا، قُلْتَ: وَلَا التَّمْرُ؟ قَالَتْ: وَلَا التَّمْرُ. فَاسْتَلْقَيْتَ ثُمَّ تَلَوْتَ: (عَسَىٰ رَيْكُمُ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمُ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)؟ فَقَدْ - وَاللَّهِ - أَهْلَكَ عَدُوُّكَ وَاسْتَخْلَفَكَ فِي الْأَرْضِ، مَا تَعْمَلُ؟ فَانْكَسَ رَأْسُهُ طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: كَيْفَ لِي بِالرِّجَالِ؟ قُلْتَ: أَلَيْسَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ السُّلْطَانَ بِمَنْزِلَةِ السُّوقِ يُجْلِبُ إِلَيْهَا مَا يُنْفَقُ فِيهَا، فَإِنْ كَانَ بَرًّا أَتَوْهُ بِبِرِّهِمْ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا أَتَوْهُ بِفُجُورِهِمْ؟ فَأَطْرَقَ - الْمَنْصُورُ - طَوِيلًا. فَأَوْمَأَ إِلَيَّ الرَّبِيعُ أَنْ أَخْرُجَ. فَخَرَجْتُ وَمَا عُدْتُ إِلَيْهِ"

### التحليل :

تمتاز هذه الموعظة عن الوعظ الشائع الذي يستمد من أخبار الأمم البائدة، بأنها :

- تستمد من حياة الرجل الذي يُراد وعظه، وتسوق مثالاً من سيرة أحد خلفاء الدولة التي كان أبو جعفر المنصور حريصاً على إسقاطها.
- إنها تبيّن مدى صلابته مواقف بعض علماء الدين في مواجهة الظلم دون أن تأخذهم في الله لومة لائم، أو الخشية من بطش الحاكم.
- الصراحة والصدق والأمانة في التعبير عما يراه من تقصير الحكام وجورهم .
- الإستشهاد بأية من آيات القرآن الكريم .

### الصور البلاغية:

#### ١. الطباق والمقابلة:

- في الآية: "يُهِلِكَ عَدُوُّكُمْ / يَسْتَخْلِفَكُمُ" فيها مقابلة بين الهلاك والاستخلاف، تعطي قوة في المعنى.
- في كلام عبدالرحمن: "ما رأيت في سلطانهم شيئاً من الجور إلا ورأيت في سلطانك" فيه طباق بين "الجور" و"العدل" المفقود، ومقابلة بين "سلطانهم" و"سلطانك".

#### ٢. الاستعارة:

- قول عمر بن عبدالعزيز: "السلطان بمنزلة السوق يُجلب إليها ما ينفق فيها" استعارة تمثيلية، شبه السلطان بالسوق الذي يحدد نوعية البضاعة (الأفعال) التي تُعرض فيه.

#### ٣. الكناية:

- قول عبدالرحمن: "فنكس رأسه طويلاً" كناية عن الحرج والندم والتفكير العميق.

### التناص القرآني:

- النص يوظف آية من القرآن: (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)،

وهذا تضمين قرآني أعطى بعداً عظيماً للموقف، حيث تحولت الآية من مجرد تلاوة في حالة الفقر إلى واقع معاش في حالة الملك.

هذا التناص القرآني يحمل وظيفة عظيمة بلاغية: فهو تذكير بالخلافة بوصفها تكليفاً إلهياً لا تشرifaً دنيوياً.

وأحياناً كان الوعاظ يُلَمِّون بقصور الخلفاء ويغشون مجالسهم، فيلقون المواعظ على اسماعهم. فمن ذلك أن أحد الزهاد وهو الفضيل بن عياض دخل على المنصور، فقام بين يديه، وقال: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَاءَ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا، وَأَذْكَرْ لَيْلَةً تَبِيْتُ فِي الْقَبْرِ لَمْ تَبْتَ قَبْلَهَا لَيْلَةً، وَأَذْكَرْ لَيْلَةً تَمَحَّضُ عَنْ يَوْمٍ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ. فَأَفْحَمَ الْمُنْصُورُ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ. فَقَالَ: لَوْ اِحْتَجْتُ إِلَى مَالِكَ مَا وَعَظْتُكَ".

وكان بعض الخلفاء يتخذ لنفسه واعظاً خاصاً، يستدعيه كلما حَزَبَه أمر من الأمور، ويطلب منه أن يعظه. فكان أبو جعفر المنصور يأنس لمواعظ عمرو بن عبيد، ويرسل في طلبه ليسمعا منه. وحدث أن بعث إليه ذات مرة فجاءه، فأمر له بمالٍ، فأبى أن يقبله، فقال له المنصور: والله لتقبلته. فقال: والله لا أقبله. فقال له المهدي: قد حلف أمير المؤمنين. فقال: أمير المؤمنين أقوى على كفارة اليمين من عمك. فقال له المنصور: سل حاجتك. قال: أسألك ألا تدعوني حتى آتيك، ولا تعطيني حتى أسألك. فقال المنصور: علمت أنني جعلتُ هذا - يعني المهدي - وليّ عهدي. فقال: يأتيه الأمر يوم يأتيه وأنت مشغول. وكذلك فعل أبو عبدالله المهدي إذ اتَّخَذَ من صالح بن عبدالجليل واعظاً له، يحرص على سماع مواعظه، وكان لهارون الرشيد واعظ مشهور هو أبو العباس محمد بن صباح العجلي المعروف بابن السماك، وكان الرشيد يجلّه ويبالغ في احترامه وتقديره، ويلحقه بالمطالبة بالموعظة.

## الجاحظ (١٦٠ هـ - ٢٥٥ هـ)

أبو عثمان عمرو بن بحر ، لُقّب بالجاحظ لبحوظ عينيه ، ولد في البصرة عام ١٦٠ هـ ، توفي أبوه وهو صغير ، وفي مدينته التي كانت آنذاك محج طلاب المعرفة تعلّم القراءة والكتابة وحينما أصبح يافعاً تردد على حلقات العلم التي تتعقد في المساجد .

### حبّه للقراءة

كان مفرطاً في القراءة يكتري دكاكين الوراقين ويعتكف فيها ليقف على ما يأتي إليها من كتب ويستوعب معارفها ويحفظ ما يروق منها ولم يبخل بالمال حينما يتوفر لديه لشراء الكتب .

### علمه

كان يلتمس أسباب العيش عن طريق العمل وقد قيل : إنه كان يبيع الخبز والسمك على ضفة نهر بالبصرة يعرف ب(سيحان) .

لقد كانت أمه تنفق عليه في بادئ الأمر وقد ضاقت به حين رأته منهمكاً في إقتناء الكتب والجلوس إليها ساعات طوالاً فطلب منها يوماً طعاماً فجاءته بطبق مليء بكراريس (كتب) ، فقال : ما هذا؟ قالت : هذا الذي تجيء به .

فخرج مهموماً وجلس في الجامع فرآه موبس بن عمران حزيناً وأدخله المنزل واطعمه واعطاه خمسين ديناراً فدخل السوق واشترى الدقيق وغيره ، فأنكرت الأم ذلك وقالت : من أين لك هذا؟ قال من الكراريس التي قدّمتها إليّ .

إنّ حالة فقره لم تدم إذ انهالت عليه الهدايا والعطايا بعد شهرته وحينما زار بغداد حضر مجلس المأمون وولاه رئاسة ديوان الرسائل لكن الجاحظ بقي ثلاثة أيام وطلب الإعفاء معتذراً للخليفة فأعفاه وانصرف إلى التأليف الذي أكسبه شهرة كبيرة وتنفّل بين البصرة وبغداد وسامراء والشام ودمشق .

وكان الجاحظ صديقاً مخلصاً للوزير محمد بن عبدالمك الزيات وحينما نُكِب الوزير وقُبض عليه زمن المتوكل هرب الجاحظ فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خفتُ أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التتور ! يقصد ما صنّع بالوزير من إدخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعُدّب به حتى مات .

## مذهبه

اعتنق مذهب الاعتزال (وهي فرقة كلامية ظهرت في القرن الثالث للهجرة اعتزلت مجلس الحسن البصري ، من آرائهم إن مرتكب الكبيرة في النار ، وإن القرآن مخلوق) ونصره في كتاباته وخالف استاذه إبراهيم بن نظام ببعض الآراء وأيده في هذه الآراء طائفة من المتكلمين عُرفوا بالجاحظية .

## أخلاقه

١. قوة الإرادة .
٢. التفاؤل .
٣. البساطة .
٤. البُعد عن الفوضى .
٥. الحرص على الوقت والمواعيد .
٦. الوفاء .
٧. حب النظام .

## فكاهته

عرف بالظرف والفكاهة والتندر ، إذ كان مرحاً مقتدراً على الإضحاك لتلطيف النفوس وابعادها عن الضجر ، ولأن الإنسان يتعلم بالضحك أكثر مما يتعلم بالعبوس .

لقد اهتم الجاحظ بالضحك لعدة أسباب منها:

١. ليمتع القارىء .
  ٢. يبعد عنه الضجر والملل .
  ٣. يجدد نشاطه .
  ٤. يعلم القارىء .
- ويعلل الجاحظ أهمية الضحك قائلاً : (لو كان الضحك قبيحاً لما قلنا للزهرة تضحك في الوجوه) .

## أبرز كتبه

١. البخلاء
٢. الحيوان
٣. التربيع والتدوير
٤. البيان والتبيين .

## اسلوبه

١. مطابقة الكلام للحال .
٢. البعد عن الغريب من الالفاظ .
٣. الإستطراد : وهو الإنتقال من موضوع إلى آخر وذلك لدفع الملل عن القارئ .
٤. مزج الجد بالهزل .
٥. عدم التكلف .
٦. الجدل والحوار يشيع في اسلوبه وسبب ذلك يعود إلى :
  - أ- نشأته في بيئة المعتزلة .
  - ب- قراءة فلسفة اليونان .

## موته

استقر في البصرة وأصيب بالفالج (الشلل) والنقرس (مرض المفاصل) ثم مات، وقيل وقعت عليه كتبه وهو شيخ ضعيف قد جاوز التسعين فقضت عليه .

## نموذج من كتاب البخلاء

"كَانَ أَحَدُهُمْ يَقُولُ لِعِيَالِهِ: لَا تَلْفُوا نَوَى التَّمْرِ وَالرُّطْبِ وَتَعَوَّدُوا ابْتِلَاعَهُ، فَإِنَّ النَّوَى يَعْقِدُ الشَّحْمَ فِي الْبَطْنِ، وَيُدْفِي الكُلَيْتَيْنِ... وَالشَّحْمُ يُفْرِخُ الْقَلْبَ، وَيُبَيِّضُ الْوَجْهَ... كُلُوا الْبَاقِلَاءَ بِقُشُورِهِ، فَإِنَّ الْبَاقِلَاءَ يَقُولُ: مَنْ أَكَلَنِي بِقُشُورِي فَقَدْ أَكَلَنِي، وَمَنْ أَكَلَنِي بغير قُشُورِي فَأَنَا الَّذِي أَكَلُهُ، فَمَا حَاجَتُكُمْ إِلَى أَنْ تَصِيرُوا طَعَامًا لَطَعَامِكُمْ" .

## البنية الأسلوبية:

النص قائم على أسلوب التوجيه والإرشاد، باستخدام صيغة النهي والأمر:

"لا تالفوا نوى التمر... (نهي).

"وتعودوا ابتلاعه... (أمر).

"كلوا الباقلاء بقشوره... (أمر).

هذا الأسلوب يعكس وظيفة وعظية/ إرشادية فيها نبرة أبوية وتعليمية.

الصور البلاغية:

١. التشخيص:

"الباقلاء يقول: من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي أكله"

هنا جعل الباقلاء يتكلم بلسان الحكيم، وهذا من أرقى صور التخييل البلاغي حيث يُمنح الجماد صفات الإنسان.

٢. الكناية:

"النوى يعقد الشحم في البطن" كناية عن التغذية القوية وتعزيز البنية الجسدية.

"الشحم يُفرح القلب، ويبييض الوجه" كناية عن الصحة والعافية والنضارة.

٣. المقابلة:

"من أكلني... فقد أكلني / ومن أكلني بغير قشوري... فأنا الذي أكله"، فيها مقابلة لفظية ومعنوية تؤكد المعنى بالتضاد.

الحكمة والمفارقة:

النص في جوهره ليس مجرد نصائح غذائية، بل فيه رمزية فلسفية:

"أكل النوى والباقلاء بالقشور" رمز للتقشف، الاستفادة من كل ما هو متاح، وعدم التبذير.

قال الجاحظ في وصف الكتاب وبيان فضله :

"الكتابُ نِعْمَ الذُّخْرُ وَالْعُدَّةُ، وَنِعْمَ الْجَلِيسُ وَالْقُعْدَةُ، وَنِعْمَ النَّشْرَةُ وَالنُّزْهَةُ، وَنِعْمَ الْمُشْتَعَلُ وَالْحَرْفَةُ، وَنِعْمَ الْأَنْبَسُ سَاعَةَ الْوَحْدَةِ... الْكِتَابُ وَعَاءٌ مَلَى عِلْمًا، وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفًا، إِنْ شِئْتَ كَانَ أَعْيَى مِنْ بَاقِلٍ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ أَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ، وَإِنْ شِئْتَ ضَحِكْتَ مِنْ نَوَادِرِهِ، وَإِنْ شِئْتَ بَكَيْتَ مِنْ مَوَاعِظِهِ، وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مِثْلِهِ، وَبِنَاسِكَ

فَاتِكِ، وَنَاطِقِ أَرَسَ، وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبِ أَعْرَابِيٍّ وَهِنْدِيٍّ وَفَارِسِيٍّ وَيُونَانِيٍّ، وَنَدِيمِ مُؤَدِّ، وَوَصِيفِ مُمْتَعٍ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ الْأَوَّلَ وَالْآخَرَ وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِيَّ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ، وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ، وَالْعَثَّ وَالسَّمِينَ، وَالشُّكْلَ وَخِلَافَهُ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ، وَبَعْدُ...

فَمَا رَأَيْتُ بُسْتَانًا يَحْمِلُ فِي رِدْنٍ، وَرَوْضَةً تُنْقَلُ فِي حَجْرٍ، يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُتْرَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ غَيْرَهُ

التحليل :

البنية الأسلوبية:

النص يعتمد على أسلوب الثناء والمدح للكتاب، عبر تكرار صيغة:

"بِعَمِّ الذخِرِ وَالْعِدَّةِ"

"بِعَمِّ الْجَلِيسِ وَالْقَعْدَةِ"

"بِعَمِّ النَّشْرَةِ وَالنَّزْهَةِ"

هذا التكرار يسمى التكرار البلاغي (أو حسن التقسيم)، وهو أسلوب يُعْطَى إيقاعاً موسيقياً ويؤكد مكانة الكتاب.

الصور البلاغية:

١. الاستعارة المكنية:

"الكتاب وعاءٌ ملىّ علماً": شبه الكتاب بوعاءٍ يحوي الطعام، لكن الوعاء هنا يحوي علماً.

"وظرفٌ حُشيٌّ ظرفاً": استعارة تجمع بين الوعاء المادي والمعنوي (الظرف بمعنى الحافظة والظرف بمعنى الذكاء).

٢. التشبيه والتمثيل:

"إن شئت كان أعياناً من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل": تشبيه تمثيلي بين الكتاب والأشخاص المشهورين بالبَّله أو الفصاحة. هذا يُبرز شمولية الكتاب بين النقيضين.

### ٣. الكناية:

"الشحم يفرح القلب، ويبيض الوجه" كناية عن الصحة والنضارة.

"أنيس ساعة الوحدة" كناية عن أن الكتاب يطرد الوحشة ويملاً فراغ القلب.

### ٤. التشخيص :

"بستان يحمل في رِدن، وروضة تُثقل في حجر": جُعل الكتاب كأنه بستان منتقل، وهذه صورة بديعة تجمع بين جمال الطبيعة وسعة العلم.

"ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء": تشخيص رائع للكتاب؛ فالمؤلفون الموتى ينطقون عبر كتبهم، والكتاب ينقل صوتهم إلى الأحياء.

### المقابلات والطباق:

"الأول والآخر"

"الناقص والوافي"

"الشاهد والغائب"

"الرفيع والوضيع"

"الغث والسمين"

"الشكل وخلافه"

"الجنس وضده"

هذه المقابلات المتعددة تبرز شمول الكتاب واحتوائه لكل شيء. بلاغياً، هذا يسمى التضاد أو المقابلة، وهو من أجمل أدوات البيان التي تُعطي المعنى قوة وشمولاً.

### التناس الثقافي - التاريخي:

"أعيا من باقل" إشارة إلى شخصية اشتهرت بالبلاهة.

"أبلغ من سحبان وائل" إشارة إلى خطيب فصيح.

هنا الكاتب يوظف الأمثال والثقافة الشعبية لإغناء نصه وإقناع المتلقي.

### ثانياً / النثر الكتابي : موضوعاته وأنواعه:

بدأت الكتابة بداية متواضعة منذ العصر الجاهلي، ثم ازدهرت وتطورت بنزول القرآن الكريم وتدوينه، وانتشار الدعوة الإسلامية، إلى أن بلغت الكتابة درجة عالية من التطور والرقى، ودونت العلوم والمعارف المختلفة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وتتنوع فروعها، وأصبح لكل فرع من أفرع الكتابة من يختص به، ويتقن الكتابة فيه، ومن أنواع النثر الكتابي مايلي:

### أ/ الرسائل الفنية : المفهوم والخصائص وأهم الأنواع

أحد فنون النثر التي انتشرت في العصر العباسي، ازدهرت واتسعت بشكل كبير؛ لأنها مرتبطة بحياة الناس جميعاً ولاسيما العاملين في مرافق الدولة.

#### • الخصائص :

١. كان كُتَّاب الرسائل يحرصون على أن يكون صدر الرسالة موائماً لشخصية من يُراد إرسالها إليه.
٢. كان بعض الكُتَّاب يسير في الرسالة على منهج عصر صدر الإسلام من حيث الوضوح والإيجاز والدقة، على حين سلك بعضهم مسلكاً آخر، فعمد إلى الإسهاب والاهتمام بالصناعة والازدواج والترادف.
٣. أما فيما يتعلق بخواتيم الرسالة، فقد شاع اختتام الرسائل بالسلام أو بعبارة "إن شاء الله" أو "كتب فلان" أو الدعاء . . .

تنقسم الرسائل على الأنواع الآتية :

#### ١. الرسائل الديوانية أو المكاتبات الرسمية :

وتعد هذه الرسائل من أهم ما كتب في العصر العباسي لأنها مرتبطة بسياسة الخليفة وما يحتاجه من مراسلات مع الولاة والقادة، ويشترط فيمن يكون قيماً أن تكون لديه خبرة واسعة في الكلمة وفي فهم التاريخ والدين والواقع

، إذ إن من كان يستوزر برئيس للديوان كان يحظى بمنزلة رفيعة ، ومن هنا كان معظم الوزراء من المقتدرين علمياً وثقافياً وأدبياً ولغوياً .

تناولت الرسائل الديوانية النقاط التالية:

- أعمال الدولة .
- البيعة للخلفاء .
- الفتوح والجهاد.
- تولية الولاية .
- تعيين ولاية العهود .
- مواسم الحج والأعياد.
- أمور الرعية المنقولة إلى الخلفاء.

وأبرز من كتبوا في هذا الفن :

- عمارة بن حمزة .
- اسماعيل بن صبيح .
- محمد بن الليث.
- طاهر بن الحسين .

وقد بلغت الرسالة الديوانية في عصر المأمون الذروة مركزة على :

- العناية بالجمال الفني .
- التدقيق في المعاني بشكل كبير .

وكان هذا النوع من الرسائل أما رسائل طويلة تميل إلى الشرح والتفصيل أو قصيرة موجزة ، ومن الرسائل الموجزة

ماكتبه طاهر بن الحسين إلى المأمون بعد مقتل عيسى بن ماهان :

" كِتَابِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأْسِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ بَيْنَ يَدَيَّ، وَخَاتَمُهُ فِي يَدِي، وَعَسْكَرُهُ مُصْرَفٌ تَحْتَ أَمْرِي، وَالسَّلَامُ " .

## ٢. الرسائل الإخوانية :

وهي الرسائل التي تصور عواطف الأفراد ، وما يفعل في نفوسهم من رغبة ورهبة ومدح وهجاء وعتاب واعتذار كما في رسائل ابن المقفع " الأدب الكبير والأدب الصغير " . وما جاء بهما من تصوير للأخوة والصداقة ، كما في مناسبات الزواج والظفر على الأعداء وغير ذلك من الأمور ، وكان يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم في مناسبات شتى وقد تميزت هذه الرسائل بدقة التصوير للمعاني والتعبير عنها بأساليب جديدة والتأنق في صياغتها واسنادها بآيات وأحاديث نبوية شريفة وأقوال الصحابة والأشعار والحكم .

قال إبراهيم بن المهدي في رسالة يهنئ فيها المعتصم في انتصاره في عمورية:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَزْوَتَهُ، فَأَذَلَّ بِهَا رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ، وَشَفَى بِهَا صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، ثُمَّ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ الْأَوْبَةَ سَالِمًا غَانِمًا " .

## ٣. الرسائل الأدبية :

تناولت موضوعات كثيرة كالأخلاق والتوجيه والنصح والإرشاد وشؤون الحياة المختلفة ، من هذه الرسائل رسالة غسان بن عبد الحميد في الأخوة والوفاء ، قال :

" مَنْ ضَيَّعَ الْوَفَاءَ لِإِخْوَانِهِ فَقَدْ أَدْخَلَ النُّقْصَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَالْمَرْءُ يَجِدُ مِنْ أَخِيهِ بَدَلًا، وَلَا يَجِدُ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا قَصَّرَتْ بِهِ مُتَحَوَّلًا " .

## ٤. رسائل الإهداء :

اعتاد الناس في العصر العباسي أن يهدي بعضهم بعضاً هدايا مختلفة ، كالأطعمة والزهور والورود وغير ذلك ، وكان بعضهم يرسل مع الهدية رسالة ، يصف فيها الشيء الذي يهديه ، ويبين دلالاته الرمزية .

## ٥. رسائل التواصي :

التوصية رسالة يرسلها شخص إلى شخص آخر له جاه يشفع عنده لشخص ثالث في أمر من الأمور ، أو في قضاء حاجة من حوائجه ، وكان هذا النوع من الرسائل مألوفاً في زمن العباسيين .

## ٦. رسائل التعزية والمواساة :

تدور رسائل التعزية - بوجه عام- حول الحث على الصبر والرضا بقضاء الله ، والدعوة إلى عدم إظهار الجزع على المصاب ، والتذكير بما يلقاه الصابرون من الثواب عن فقدان الأحبة.

### نموذج تطبيقي من الرسائل الفنية :

قال الجاحظ في رسالته (المُعَاد والمُعَاش ) : " وَخَرَجْتَ نَسِيحَ وَحْدِكَ، أَوْحَدِيًّا فِي عَصْرِكَ، حَكَمْتَ وَكَيْلَ اللَّهِ عِنْدَكَ - وَهُوَ عَقْلُكَ - عَلَى هَوَاكَ، وَأَلْقَيْتَ إِلَيْهِ أَرْمَةً أَمْرِكَ، فَسَلَكَ بِكَ طَرِيقَ السَّالِمَةِ، وَأَسْلَمَكَ إِلَى الْعَاقِبَةِ الْمَحْمُودَةِ، وَبَلَغَ بِكَ مِنْ نَيْلِ اللَّذَاتِ أَكْثَرَ مِمَّا بَلَغُوا، وَنَالَ بِكَ مِنَ الشَّهَوَاتِ أَكْثَرَ مِمَّا نَالُوا، وَصَرَّفَكَ مِنْ صُنُوفِ النَّعْمِ أَكْثَرَ مِمَّا تَصَرَّفُوا، وَرَبَطَ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي حَوَّلَكَ مِمَّا أَطْلَقَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِيثَارُ اللَّهْوِ وَتَسْلِيْطُهُمُ الْهَوَى (عَلَى أَنْفُسِهِمْ)، فَخَاصَ بِهِمْ سُبُلَ تِلْكَ اللَّجْجِ، وَاسْتَنْكَذَكَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَاطِبِ، فَأَخْرَجَكَ سَلِيمَ الدِّينِ وَالْمَرْوَعَةَ، نَقِيَّ الْعَرِضِ، كَثِيرَ الثَّرَاءِ، بَيْنَ الْجِدَّةِ، وَذَلِكَ سَبِيلٌ مَنْ كَانَ مَيْلُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرَ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى هَوَاهُ...." .

### التحليل :

مناسبة الرسالة : فالنص يوجهه الجاحظ إلى (أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد) عندما خلف أباه في القضاء في خلافة المتوكل العباسي ،

مضامينها ومعانيها : وجه الجاحظ له هذه الرسالة يرشده فيها إلى أدب التعامل مع الناس وسياسة أمورهم، وقد بدأها بالحجة، وهي حجة بمقام ( المدح والثناء والتمجيد ) من أبي دواد إذ يقول: ( خرجت نسيح وحدك أوحديا في عصرك) ثم يأتي بحجة عقلية في قوله : (حكمت وكيل الله عندك - وهو عقلك - على هواك وألقيت إليه أزمة أمرك ) أي أن الراشد والحكيم هو من يحكم عقله في أمره كلها.

وبعد هاتين الحجتين يأتي بحجة أخرى مرجعها أيضا العقل في قوله: (فسلك بك طريق السالمة وأسلمك إلى العاقبة المحمودة...) أي تحكيم العقل يسلك بالمرء طريق السالمة، ويسلمه إلى العاقبة المحمودة .

### التحليل البلاغي:

### التشبيه والاستعارة:

"خرجت نسيح وحدك" استعارة وكنائية عن التفرد والتميز.

"وكيل الله عندك - وهو عقلك" تشخيص بديع؛ جعل العقل وكيلاً إلهياً يراقب الهوى ويحكم عليه.

"ألقيت إليه أزمّة أمرك" استعارة من عالم الفروسية؛ الأزمّة (جمع زمام) كناية عن الانقياد الكامل للعقل.

### التكرار والتوازن:

التوازي : "بلغ بك... أكثر مما بلغوا / نال بك... أكثر مما نالوا / صرفك... أكثر مما تصرفوا": يعطي إيقاعاً تصاعدياً يبرز فضله على غيره.

### المقابلة / الطباق:

بين "ميله إلى الله" و "ميله إلى هواه".

بين "سليم الدين والمروءة" و "اللذة والشهوات".

### الكناية:

"نقي العرض": كناية عن طهارة السيرة والشرف.

"كثير الثراء، بين الجدة": كناية عن الغنى الظاهر والنعمة.

### التصوير البلاغي:

"فخاض بهم سبل تلك اللجج": استعارة تصويرية؛ شبه الهوى بالبحر العميق الذي يغرق الناس.

"استنقذك من تلك المعاطب": استعارة عن الهلاك الأخلاقي والديني.

### مفهوم التوقيعات :

لقد اصطلح أهل الأدب على أن التوقيع هو: الكتابة على الرّقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة ، والتحدث في المظالم ، وكان يتولاه في ابتداء الأمر الخفاء، وقريب من هذا المعنى ما أورده ابن خلدون في قوله:"ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله، ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه.

وقد عرفه ابن السيد البطليوسي وأسهب في تعريفه فقال: "وأما التوقيع: فإن العادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك أو من له أمر ونهي، في أسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على ظهره، أو في غرضه، بإيجاب ما يُسأل أو منعه، كقول الملك: ينفذُ هذا إن شاء الله، أو هذا صحيح، وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب: لترد على هذا ظلامته، أو لينظر في خبر هذا، أو نحو ذلك".

إن فن التوقيعات هو لون من ألوان الكتابة النثرية الأدبية، حيث يتصل بفن الرسائل من حيث المضمون، ويعدّ جواباً فنياً للرسالة يتميز بالبلاغة في أسلوبه وإيجازه، وقد احتوى على مضامين وأفكار ومعانٍ كباقي الفنون الأدبية الأخرى، فأسهم في توجيه السياسة العامة للدولة الإسلامية، وسعى في حل الكثير من المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية فيها، فكان التوقيع مرتبطاً بالأحداث والقضايا التي يتعرض لها العامة من الناس أو الخاصة من المسؤولين في الدولة، مع تميزه بالإيجاز، متضمناً الحكم البليغة والرأي الحسن واسباء النصيحة والموعظة وحسن توجيهه بالقول المقنع، فضلاً عن الأمر والنهي والتوجيه من الأعلى مرتبة في الحكم إلى الأدنى مرتبة، وامتاز بأنه لون أدبي جميل، ليس بما يحمله من أفكار وآراء سديدة تتسم بالإبداع فقط، بل في أدائه الأدبي، الذي من خصائصه الاختصار والإيجاز في التعبير، واختيار أحسن الألفاظ المعبرة عن الفكرة والملائمة للحالة، فخير الكلام ما قلّ ودلّ، وهو ما يعدّ من أهم خصائص الأسلوب البليغ، فهو إذن فن عدلّ فيه البلغاء من أصحاب السيف والقلم عن التطويل والتكرار، إلى الإيجاز والاختصار، فأتوا بالكلمات أو بالكلمة أحياناً، وأتوا بالآية من القرآن أو الحديث النبوي الشريف، أو بالبيت من الشعر، أو بقول مأثور أو مثل معروف أو حكمة دارجة.

ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الفن كان معروفاً في أدب الفرس قديماً، ماجعل بعض الباحثين العرب يذهبون إلى أن هذا الفن ليس عربياً أصيلاً، وإنما هو فن فارسي منقول.

هذا الفن استحکم واشتدّ عوده وقوي نفوذه في العصر العباسي، ومن ثم تنافس الكتّاب والأدباء في إجادته وتحسينه، حيث خصص له في الدولة ديوان خاص به، والتوقيع كان يتولاه في بادئ الأمر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذي يوقع، لكن الحال تغير عندما تطوّر هذا الفن، فأصبح الكاتب يوقع بأمر الخليفة أو السلطان بعبارة موجزة بليغة وأما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ومن كثرة العناية التي كان يوليها الخلفاء العرب للتوقيعات أنهم كانوا يسندون أمر التوقيع إلى من يمتلك عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه، وكان يستوجب اختيار الموقع بأن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فإنه معروض للنظر في أصول العلم لما يعرض في

مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة والتخلق بالفضائل مع ما يضطر وأسرارها.

### أنواع التوقيعات الأدبية:

١. قد يكون التوقيع آية قرآنية بحيث توافق الآية ما تضمنه الطلب وتتناسب مع الحالة أو القضية المراد التوقيع فيها، وهو حسن في الجد من الأمور محذور في المرح ، مثال ذلك : رقعة بعثها عامل أرمينية إلى الخليفة العباسي المهدي يشكو فيها سوء معاملة الرعية وعدم طاعتهم له ، فوَّع المهدي في أسفل الرقعة مستشهداً بآية قرآنية من قوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } ، وقد وَّع الصاحب بن عباد في كتاب استحسن بلاغته، من قوله تعالى : { أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ } .

٢. وقد يأتي التوقيع اقتباساً من أي الذكر الحكيم، كتوقيع الخليفة العباسي المأمون إلى نصر بن السيار : يا أبا رافع، إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذنن كفروا، فهذه التوقيع مقتبسة من قوله تعالى: مخاطباً نبيه عيسى عليه السلام في الآية الكريمة: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْكِتَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنِّنِ كَفَرُوا} .

٣. ومن التواقيع ما جاء اقتباساً من حديث نبوي شريف كما جاء في توقيع لجعفر بن يحيى البرمكي على إحدى القصص الواردة إليه في بريد الشكاوي من رجل يشكو العزوبية فرد عليه بتوقيع يقول فيه :الصوم لك وِجَاء، وقد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجَاء .

٤. وقد يكون التوقيع بيت شعر، ومن ذلك ما وَّع به طاهر بن الحسين ، إلى العباس بن موسى الهادي ، وقد استبطأه خراج الكوفة:

وليس أخو الحاجات من بات نائماً ... ولكن أخوها من يبيت على وجل

فطاهر بن الحسين لا يريد إخبار العباس، بل يحثه على الجد في جباية الخراج.

٥. قد يكون التوقيع من الأمثال السائرة والمأثورة عند العرب، مثال ذلك: ما وَّع به علي بن أبي طالب إلى طليحة بن عبيد الله، بقوله: في بيته يؤتى الحكم، وأيضاً ما وَّع بها الخليفة العباسي المهدي لقوم تظلموا من عاملهم وسألوا إشخاصه إلى بابه، فوَّع لهم بقوله: قد أنصف القارة من رامها.

٦. وقد يأتي التوقيع حكمة، كما في توقيع السفاح الخليفة العباسي الأول في رقعة جماعة من بطانته شكوا احتباس أرزاقهم: من صبر في الشدة شارك في النعمة.

### أهم الخصائص الفنية للتوقيعات الأدبية:

١. الإيجاز البليغ دون إخلال بالمعنى، مع احتوائها على المضمون، فقد اعتمدت في أسلوبها على التركيز والوضوح في عرض الفكرة، مع جمال في التصوير، ولطف في الإشارة .

٢. مناسبة التوقيعات الأدبية للقضية أو الحالة والموقف التي ذكرت فيه، وهذا صميم مطابقة الكلام لمقتضى الحال في البلاغة العربية، ولا شك في ذلك لكل مقام مقال .

٣. صحة الحجة في التوقيعات الأدبية وسلامتها، مما يؤدي إلى الإقناع، ثم الانصياع، ما يحمل على تسليم صاحب الطلب واقتناعه بالحجة بما تحمله من قوة في المنطق وبراعة في الاختيار، فكان كل من يفد منهم معتقد أنه يصير إلى من ينصره ويكشف ظلامته ويعديه على خصمه... وأن تكون التوقيعات لهم شافية في معانيها، مستوعبة لكشف ظلاماتهم، مؤذنة بإنجاح طلباتهم. وقد كان السلطان يستعرض بنفسه الرقاع والقصص ليوقع فيها أو يوقع كاتبه بما يؤمر فيها .

٤. السجع غير المتكلف وقد ابتعدت التوقيعات عن التكلف في السجع، وإن ظهرت في جميع أنواعها وأشكالها سجعاً خالصاً خاصة في العصر العباسي بعد أن أخذ السجع يعم في جميع ما يصدر من الرسائل الديوانية، فكان كل الوزراء والكتّاب في الدواوين يتبارون ويتأنقون في كتاباتهم وقد يببالغون في ذلك حتى صارت كتاباتهم سجعاً خالصاً وتميزت التوقيعات أيضاً بالتقسيم المتوازي بين الجمل بحيث تنتهي الجملة بسجعة.

٥. ارتباط التوقيعات بالكتابة، والتي كانت من أهم خصائصها ، فالتوقيع مرتبط بالكتابة فلا تُعدّ من التوقيعات النصوص التي قيلت مشافهة ولم تدون حتى وإن تطابقت الخصائص الفنية بينهما، فالتوقيع يجب أن يدون على الرقاع أو القصص الواردة لأصحاب السلطان، فيكون بمثابة الإجابة على ما ورد فيها، وغالباً ما تكون التوقيعة عتاباً، أو سؤالاً استنكارياً، أو توضيحاً، أو إجابةً على طلب، وهي متوقفة في جمال تصويرها وحسن دلالتها وفي شيوعها بين الناس على مهارة الموقع وسرعة بدهته وقوة تركيزه وبلاغته، وعلى فطرته السليمة وموهبته، وثقافته الواسعة، وخبرته الطويلة.

والتوقيع لا يُكتبُ "إلا على الرسالة نفسها أو الرقعة أو القصة المرفوعة إلى أولي الأمر هؤلاء، كما أنه لا يُلتزم فيها ما يُلتزمُ في الرسائل من منهج، أو ختم، أو طيٍّ وما أشبه ذلك من أمور مختلفة، وهذه كلها سمات تجعلُ من هذه التوقيعات نوعاً أدبياً خاصاً ومستقلاً .

#### أمثلة :

من أمثلة التوقيعات ، توقيع الخليفة المنصور على كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره إن جنداً كسروا أقفال بيت المال وأخذوا الأرزاق : ( لو عدلت لم يشغبوا ولو وقيت لم ينهبوا ) .

وتوقيع الخليفة الرشيد إلى عامله على خراسان : ( كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه ) .

وكتب جعفر بن يحيى إلى أحد العمال : ( قد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما عدلت وإما اعتزلت ) .

#### النثر القصصي : المفهوم والخصائص وأهم الأنواع

راجت القصة في العصر العباسي وكثر الإقبال عليها ، وإن كانت في نظر بعض الباحثين لاتدخل في باب القصة ، لأن الخصائص المطلوبة غير متكاملة فيها ، وقد كانت تروى للسمر والتسلية وقضاء أوقات الفراغ ، ولإعطاء العبر والدروس ، ولم تكن قد أخذت الشكل الذي نعرفه اليوم في القصة، بل كانت شكاوى أو سيراً مسرودةً دون عناصر القصة المعروفة، ففئ القصة لم يكن من الفنون المعروفة عند العرب إلا أننا نجد في العصر العباسي الأول شيئاً من هذا الفن كالأذي كتبه ابن المقفع في كتاب "كليلة ودمنة" الذي قيل إنّه نقله عن لغةٍ أخرى وليس من تأليفه، وهو يحوي مجموعة نواذر محبوكة اللّغة وفصيحة المعنى.

**مفهوم القصة :** عمل فني يمنح الشعور بالمتعة والبهجة، كما يتميز بالقدرة على جذب الإنتباه والتشويق، وإثارة الخيال، وقد تتضمن غرضاً أخلاقياً، أو لغوياً، أو ترويحياً، وقد تشمل هذه الأغراض كلها أو بعضها .

#### خصائص النثر القصصي :

من أبرز خصائص القصة في العصر العباسي هي :

١ . وحدة الأفكار : فالقصة القصيرة تتضمن فكرة رئيسية واحدة، أو حدثاً واحداً فقط، دون التشتت في أكثر

من فكرة وموضوع.

٢. عدم وجود مقدمات: فتبدأ القصة بالحدث الرئيسي والمهم منذ أول كلمة فيها، مع الابتعاد عن المقدمات وحشو الكلمات.

٣. المزج بين الحيوية والديناميكا في القصة، حتى لو كانت تحتوي على شخصية واحدة فقط، فستجد فيها تسلسل جميل وحيوي في الأحداث.

### أهم الأنواع :

- القصص التي تدور على السنة الطير والحيوان :  
مثل كتاب كليلة ودمنة الذي نقله إلى العربية عبدالله بن المقفّع ، إذ يصوّر البهائم والطيور كائنات عاقلة مفكّرة لإستخلاص العظة والدروس ، ولسهل بن هارون كتابان على شاكلة كليلة ودمنة ، الأول (ثعلبة وعفراء) ، والكتاب الثاني (النمر والثعلب) .
- القصص الوعظية التي تسرد في مجالس الوعظ :  
كانت تميل إلى الوعظ الديني ولاسيما في تفسير القرآن الكريم ، ومن القصّاص موسى بن سيّار الأسواري وعمرو بن فائد والقاسم بن يحيى وهؤلاء القصّاص كانوا يعنون بالأسلوب وضبط الكلام وطريقة الإلقاء كي يقبل عليهم الناس ويلتقوا حولهم وينصتوا إليهم .
- الحكايات التاريخية :  
ويندر فيها الحوار وتأخذ طابع السرد المباشر مثل قصة معركة القادسية وقصة أبي محجن الثقفي الذي خرج من سجنه للقتال بعد أن ركب فرساً بلقاء بمساعدة زوجة سعد بن أبي وقاص فقاتل كالأبطال وأُثنى الجراح في الأعداد وعاد مرفوع الرأس .
- حكايات الأطباء مع مرضاهم :  
فيها نوادر وحيل طريفة ونقل علي بن سهل طائفة منها في كتاب فردوس الحكمة .

### نموذج تطبيقي :

"حكي أنّ قُبْرَةَ اتَّخَذَتْ أُدْحِيَّةً وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفَيْلِ، وَكَانَ لِلْفَيْلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ، فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مُورِدَهُ، فَوَطِئَ عَشَّ الْقُبْرَةِ، وَهَشَّمَ بَيْضَهَا وَقَتَلَ أَفْرَاحَهَا... فَتَرَكَتُهَا وَأَنْصَرَفَتْ إِلَى جَمَاعَةٍ

الطُيُورِ، فَشَكَتْ إِلَيْهِنَّ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ، فَقُلْنَ لَهَا: وَمَاذَا عَسَى أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طُيُورٌ؟ فَقَالَتْ: أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَتَّقَعْنَ عَيْنَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْنَ يَنْقُرْنَ عَيْنَيْهِ حَتَّى أَصْبَحَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِهِ.

ثُمَّ شَكَتْ لِلضَّفَادِعِ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ، فَقَالَتْ: أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصْرُنَ مَعِيَ إِلَى هَوَّةٍ مُنْخَفِضَةٍ، وَتَتَّقِنَنَّ فِيهَا، فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ يَهْوِي فِيهَا، فَسَمِعَ الْفِيلُ نَفِيقَ الضَّفَادِعِ وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْفَخِّ.

ثُمَّ جَاءَتِ الْقُبْرَةُ تُرْفِئُ عَلَى رَأْسِهِ، وَتَقُولُ: أَيُّهَا الطَّاعِي الْمَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ، الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي! كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حَيْلَتِي مَعَ صِغَرِ جِثَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جِثَّتِكَ وَصِغَرِ هَمَّتِكَ؟"

التحليل :

لجأ ابن المقفع إلى الأسلوب الرمزي في نقد الحياة الإجتماعية والسياسية ليكون بمأمن من غضب الحكام الجائرين ، وإن المغزى الذي هدف إليه الكاتب يرتبط بالأحداث القائمة بعدما رأى بطش العباسيين ، لقد وقف من المنصور موقف الناقد ، فالفيل يمثل الحاكم الظالم ، والقبرة وأخوانها الضعاف يمثلون الرعية ، والغاية هي إسداء النصح للملك وإرشاد الرعية إلى التضامن والثأر من ظالميهيها ، فالمغزى إذن سياسي ، يستهدف نقد لحكم العباسي الجائر ولما كانت الحادثة غير ممكنة الوقوع فهي من باب القصص الخرافي حيث يدور الكلام على ألسنة الطير والحيوان .

الصور البلاغية:

١ . التشخيص:

الطيور والضفادع تُمنح القدرة على الفعل الواعي ("شكت إليهن... فأحب أن تفقعن عينيه").

القبرة تتحدث في النهاية "تقول: أيها الطاعى المغتر...": هذا يعطى النص روحاً حية، ويقوي عنصر العبرة.

٢ . الاستعارة:

الفيل يرمز إلى القوة الجبارة والسلطة المطلقة.

الفخ/الهوة تمثل الحيلة الذكية والتدبير العقلاني.

٣ . المقابلة والطباق:

"صغر جثتي - عظم جثتك / صغر همتك - عظم حيلتي": إبراز التباين بين القوة الظاهرية والذكاء المخفي.

#### ٤ . الإيقاع والتكرار :

تكرار الأفعال مثل "فمرّ... فوطئ... فهشم... فتركته": يعطي النص إيقاعاً تصاعدياً يوصل للقمة (سقوط الفيل في الفخ).

#### ٥ . الكناية:

"أصب العين/الهوة" كناية عن إضعاف الحيلة أو السيطرة على القوي عبر الضعف الظاهر.

#### الدروس والعبر البلاغية:

١ . الحيلة والذكاء يتفوقان على القوة: النص يُظهر أن الجبار مهما عظمت قوته، يمكن أن يُقهر بالحيلة والصبر.

٢ . الاعتماد على التحالفات الصغيرة: الطيور والضفادع أدوات للنصر، أي أن التعاون مع الضعفاء أحياناً أقوى من المواجهة المباشرة.

٣ . العبرة الخاتمة: الرسالة الأخلاقية واضحة: العقل والمكر يغلبان القوة المادية.

#### المقامات

المقامة في الجاهلية تعني : مجلس القبيلة والجماعة من الناس .

في الإسلام تعني : الخطبة والمحاضرة اللتان يغلب عليهما عنصر الزهد والوعظ والإرشاد .

في العصر العباسي تعني : أحاديث أدبية تدور حول الكدية والإستجداء .

إنّ فهي: جنس أدبي نثري قائم على السجع يتكون من الشخصيات ، والمكان ، والزمان ، والأحداث ، والسرد ، واللغة ، وفيها مضامين اجتماعية وأدبية وسياسية ودينية ولغوية ابتكرها بديع الزمان الهمذاني وجعل لها راوياً وهو عيسى بن هشام عرف بكثرة الأسفار وانتحال صفة التجار والمكدين ، وبطلاً هو أبو الفتح الإسكندري عرف بالخبث والدهاء واصطناع المهن المختلفة من أجل الكدية وابتزاز الأموال ، لكنّه إلى جانب شعورته وحيلته خطيب ملّم بالعلوم .. وجاء بعد بديع الزمان الحريري الذي اشتهر بمقاماته أيضاً .

## موضوع المقامات :

ساعت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري بعد ضعف الخلفاء وسيطرة الأعاجم على شؤون الدولة ، والظلم والقهر ، وأصبح العلماء والأدباء في ضيق وحرَج واضطر بعضهم إلى التحايل والكديّة .

صوّر الهمذاني هذا الواقع المرير بروح المرح والفكاهة والإضحاك على لسان الراوي عيسى بن هشام والبطل المتسوّل ابي الفتح الأسكندري .

ومن أبرز موضوعات المقامة :

١. التسوّل .
٢. النقد الاجتماعي .
٣. اللغة والأدب والعروض .
٤. الحيل والخداع .
٥. الفقر ومشكلاته .
٦. نقد السلطة .

اسلوب المقامات :

١. السجع : ابرز خصائص المقامة إذ يُسهّل حفظها ويحببها للنفوس .
٢. الجناس والطباق .
٣. الإيجاز والتزادف والحشد اللفظي .
٤. الشعر .
٥. الاقتباس من القرآن .
٦. التضمين من الأمثال .

٧. فيها الدقة والألغاز والأحاجي .

### عناصر المقامة :

١. الشخصيات كالراوي والبطل .
٢. الأحداث .
٣. الزمان .
٤. المكان .
٥. السرد واللغة .

### نموذج من المقامات :

#### المقامة العلمية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْغُرَبَةِ مُجْتَازًا، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِأَخْر: بِمِ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ، قَالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ، لَا يُصْطَادُ بِالسَّهَامِ، وَلَا يُفْسَمُ بِالْأَزْلَامِ، وَلَا يُرَى فِي الْمَنَامِ، وَلَا يُضْبَطُ بِاللَّجَامِ، وَلَا يُورَثُ عَنِ الْأَعْمَامِ، وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ الْمَدْرِ، وَاسْتِنَادِ الْحَجْرِ، وَرَدِّ الضَّجْرِ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ، وَإِدْمَانِ السَّهْرِ، وَاصْطِحَابِ السَّفَرِ، وَكثْرَةِ النَّظَرِ، وَأَعْمَالِ الْفِكْرِ، فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرَسِ، وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا بِالنَّفْسِ، وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي النَّدْرِ، وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي الصِّدْرِ، وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنْصُ اللَّفْظِ، وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرْكَ الْحِفْظِ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ، وَحَبَسْتُهُ عَلَى الْعَيْنِ. وَأَنْفَقْتُ مِنَ الْعَيْشِ، وَخَزَنْتُ فِي الْقَلْبِ، وَخَزَنْتُ بِالدَّرْسِ، وَاسْتَرْخْتُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى التَّحْقِيقِ، وَمِنَ التَّحْقِيقِ إِلَى التَّغْلِيقِ، وَاسْتَعْنْتُ فِي ذَلِكَ بِالنَّوْفِيقِ، فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلَامِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ وَتَغَلَّغَلَ فِي الصِّدْرِ، فَقُلْتُ: يَا فَنَى، وَمِنْ أَيْنَ مَطَّلَعُ هَذِهِ الشَّمْسِ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ:

إِسْكَندَرِيَّةُ دَارِي      لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي

لَكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي      وَبِالعِرَاقِ نَهَارِي.

## معاني الألفاظ :

لا يقسم بالأزلام :الأزلام ، السهام أو الأصنام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها أي لا يُنال العلم بالحظ وإنما بالجد .

المَدَر: قطع الطين اليابس كنى بافتراش المدر وهو الطين اليابس وما بعده عن خشونة العيش في طلب العلم لأن المضجع إذا كان ليّناً والعيش ناعماً كان اغلب الزمن مصروفاً من بين نوم طويل ولذّة مستغرقة وقلماً ينال العلم مع هذا .

لا ينشب: أي يعلّق: والمراد بالصدر العقول وفي عادة العرب أن يعبروا عن العقل بالقلب بنوع من التجوز فانتهى بهم ذلك الى أن عبروا عنه بالصدر لأنه يحوي القلب.

## أحداث المقامة ومكانها:

جرت أحداث هذه المقامة في إحدى أماكن الغربة، وقد تحدّث فيها الكاتب عن العلم فبين لنا أهم صفات العلم، فهو صعب المنال لا يصطاد ولا يورث ولا يرى، كما اشاد بأهم مراحل العلم ومنها إيمان السهر واصطحاب السفر وإعمال الفكر وكثرة النظر، ثم ختم مقامته بنظم شعري يظهر أهمية ادراك العلم.

تسميه المقامة: سميت هذه المقامة بالمقامة العلمية؛ لأنّ المقامة تحدثت عن العلم وصفاته ومراحله .

نوع المقامة: هي مقامة واقعية وقد استخدم فيها كاتبها حقيقة علمية، وهي كيفية ادراك العلم .

## سمات المقامة العلمية:

- الدقة في اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة للمعاني .
- الوضوح وعدم الميل لاستخدام الألفاظ الغريبة .
- استخدام بعض الفنون البديعية كالجناس والسجع .
- يبدو اسلوب السرد القصصي الوصفي واضحاً في هذه المقامة .
- توظيف الكناية في التعبير عن بعض المعاني .
- استخدم الكاتب الحوار في مقامته .
- جاءت خاتمة هذه المقامة متناسبة مع موضوعها .

## التحليل البلاغي:

### أسلوب الحكاية والمقابلة:

النص يعتمد أسلوب السرد الحيّ: راوٍ يحكي لقاءه برجل عارف، ويجعل القارئ يعيش رحلة اكتساب العلم. المقابلة بين الصعوبة (طلب العلم) والنتيجة (امتلاك العلم ونيله) واضحة في التدرج السردى.

### الاستعارات والتشبيهات:

"لا يُصْطَادُ بالسَّهَامِ، لا يُقَسَمُ بالأزْلامِ": استعارة عن أن العلم لا يُنال بالقوة أو الحظ، بل بالإجتهد. "طائر لا يخدعه إلا قنص اللفظ": استعارة عن دقة التعبير والانتباه.

"يحمل على الروح، ويحبسه على العين": كناية عن حفظ العلم في القلب والوجدان.

### التكرار والتسلسل الإيقاعي:

سلسلة الأفعال: افترش، استناد، ردّ، ركوب، إدما.. إيقاع متصاعد يصف الجهد والتعب في طلب العلم. تكرار "ولا ... إلا" يعزز معنى الاستثناء ويؤكد صعوبة وندرة العلم.

### الكناية:

"ما فتق السمع ووصل إلى القلب وتغلغل في الصدر": كناية عن أثر العلم الحقيقي في النفس.

### الشعر في الخاتمة:

البيت الشعري يعكس رمزية الجغرافيا والزمان: إسطنبول/الشام/العراق: العلم والمعرفة لا تقتصر على مكان واحد، بل ينشر أثرها في كل زمان ومكان.

استخدام التضاد بين الليل والنهار، المكان والزمان لتأكيد جدوى البحث والاجتهاد.

## أبو محمد الحريري ( ٤٤٦-٥١٦ هـ )

### حياته ودرسته :

العلامة الأديب اللغوي البارح أبو محمد الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي الحريري، مؤلف مقامات الحريري ، والحرامي نسبة إلى محلة بالبصرة سكنتها قبيلة بنو حرام من العرب، فنسبت إليهم ، والحريري عربي يعود نسبه إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان المعروف بريبعة الفرس.

ولد الحريري في قرية المثنان، وهي بلدة قريبة من البصرة كثيرة التمر والرطب والفواكه، تتصف بوخامة الهواء وملوحة الماء وكثرة المرض، ودرس في البصرة على أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى، وأبي القاسم الفضل بن محمد القصباني الضرير، المتوفى سنة ٤٤٤، وكان عالماً باللغة والأدب، واسع العلم، غزير الفضل، إماماً في علم العربية، وإليه كانت الرحلة في زمانه، وبه تخرج الحريري في الأدب.

تابع الحريري طلب العلم في بغداد، فرحل إليها، وقرأ النحو على الإمام النحوي المفسر «علي بن فضال المجاشعي»، صاحب التفاسير، المتوفى سنة ٤٧٩هـ، ودرّس الفقه الشافعي على الفقيه الكبير ابن الصباغ، عبد السيد بن محمد، المولود سنة ٤٠٠هـ والمتوفى سنة ٤٧٧هـ، وهو أول من درّس بالمدرسة النظامية ببغداد، ودرس الحريري الفقه كذلك على الأستاذ أبي إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، العلامة المناظر، والزاهد الصابر، والشاعر الناثر، المولود سنة ٣٩٣هـ والمتوفى سنة ٤٧٦هـ، وأخذ علم الفرائض والمواريث عن الفقيه عبد الله الخبري، عبد الله بن إبراهيم، المتوفى سنة ٤٧٦هـ.

### مقاماته :

وقد عُرف الحريري بمقاماته، وهي قصص مسجوعة، تقع حوادث كل قصة في مكان تنسب إليه المقامة، وهي من قم الأدب في الصنعة اللغوية والإتقان، إلى جانب السبك القوي وامتلاك ناصية الكلام ، ويضم كتابه خمسين مقامة اشتهرت بين أهل العلم والأدب، وكان وقعها في المجتمع أشبه بالمسلسلات التلفازية التي يعكف عليها الناس اليوم، ففي كل مقامة قصة، تنتهي بموقف غير متوقع من بطل المقامات أبي زيد السروجي، وهو شخص حقيقي شاهده الحريري يستجدي المحسنين في فصاحة وبلاغة، فبنى على شخصه المقامات، و«سروج» بلد في جنوب «تركية» مقابل عين العرب السورية لا يزال اسمها اليوم Suruç، قال «عبد الله ابن الحريري»: كان أبي

جالسًا في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين، عليه أهبة السفر، رث الحال، فصيح الكلام، حسن العبارة، فسألته الجماعة: من أين الشيخ؟ فقال: من سروج، فاستخبروه عن كنيته فقال: أبو زيد. قال الحريري نفسه: كان أبو زيد السروجي شحاذًا بليغًا، ومُكديًا فصيحًا، ورد البصرة علينا، فوقف في مسجد بني حرام، فسلم، ثم سأل، وكان الوالي حاضرًا، والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبتهم فصاحته، وذكر أسر الروم ولده كما ذكرنا في المقامة الحرامية، فاجتمع عندي جماعة، فحكيت أمره، فحكى لي كل واحد أنه شاهد منه في مسجد مثل ما شاهدت، وأنه سمع منه معنى في فصل، وكان يغير شكله، فتعجبوا من جريانه في ميدانه، وتصرفه في تلونه، وإحسانه، وعليه بنيت هذه المقامات.

واختار الحريري لمقاماته راويًا يقصها على المستمعين أسماء حارث بن همام، واستقى ذلك من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أصدق الأسماء حارث وهمام. لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل، أو همام من الهمة.

وأصبحت المقامات كتاباً يحفظه المتأدبون لما فيه من القصص اللطيفة، والنكت اللغوية، والفوائد العلمية، والمحسنات البديعية، وبقي هذا ديوانهم جيلاً بعد جيل واستمر بعد وفاة الحريري بقرون، وتولى مقامات الحريري بالشرح علماء اللغة والأدب قرناً بعد قرن، من الهند إلى الأندلس، مذهولين ببراعتها، مأخوذين بجمالها، معجبين بدقائقها اللغوية، فلا يخلو جيل من شرح لها جديد يحل مشكلها ويبرز محاسنها بما يناسب العصر وأهله، من تطوير وتقصير، واهتمام بالبلاغة أو النحو أو اللغة، ولها ما ينوف على مئة شرح، ومن أبرز شراحها أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي الأندلسي، المولود سنة ٥٥٧هـ، والمتوفى سنة ٦١٩هـ، وله ثلاثة شروح أشهرها «الكبير» في مجلدين، و«وسط» وهو اللغوي، والثالث صغير، وهو «المختصر».

### المقامة المعريّة

أخبر الحارث بن همام قال: رأيت من أعاجيب الزمان. أن تقدم خصمان. إلى قاضي معرة النعمان. أحدهما قد ذهب منه الأطيبان. والآخر كأنه فضيب البان. فقال الشيخ: أيد الله القاضي. كما أيد به المتقاضي. إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد. أسيلة الخد. صبور على الكد. تحب أحياناً كالتهد. وترقد أطواراً في المهدي. وتجد في تموز مس البرد. ذات عقل وعنان. وحد سينان. وكف بينان. وفم بلا أسنان. تلعغ بلسان نضناض. وترفل في ذيل فضفاض. وتجلى في سواد وبياض. وتسقى ولكن من غير حياض. ناصحة خدعة. حباة طلعة. مطبوعة على المنفعة. ومطوعة في الضيق والسعة. إذا قطعت وصلت. ومتى فصلتها عنك انفصلت. وطالما خدمتك

فَجَمَلْتُ. وَرَبِّمَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَالَمْتُ وَمَلَمْتُ. وَإِنَّ هَذَا الْفَتَى اسْتُخْدِمْنِيهَا لَغَرَضٍ. فَأَخْدَمْتُهُ إِيَّاهَا بِإِلَاءِ عَوَضٍ. عَلَى أَنْ يَجْتَنِيَ نَفْعَهَا. وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَسْعَهُ. فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ. وَأَطَالَ بِهَا اسْتِمْتَاعَهُ. ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا. وَبَدَّلَ عَنْهَا قِيَمَةً لَا أَرْضَاهَا. فَقَالَ الْحَدَّثُ: أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا. وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ فَفَرَطٌ عَنْ خَطَا. وَقَدْ رَهْنَتْهُ. عَنْ أَرْضٍ مَا أَوْهَنْتُهُ. مَمْلُوكًا لِي مُتَنَاسِبِ الطَّرْفَيْنِ. مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ. نَفِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ. يُقَارِنُ مَحَلَّهُ سَوَادَ الْعَيْنِ. يُفْشِي الْإِحْسَانَ. وَيُنْشِي الْاسْتِحْسَانَ. وَيُعْذِي الْإِنْسَانَ. وَيَتَحَامَى اللَّسَانَ. إِنَّ سُودَ جَادَ. أَوْ وَسَمَ أَجَادَ. وَإِذَا زُوِدَ وَهَبَ الزَّادَ. وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ. لَا يَسْتَقِرُّ بِمَعْنَى. وَقَلَّمَا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى. يَسْخُو بِمَوْجُودِهِ. وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ. وَيُنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ. وَيُسْتَمْتَعُ بِزِينَتِهِ. وَإِنْ لَمْ يُطْمَعِ فِي لِينَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي: إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا. وَإِلَّا فَيُنَادِرُ الْغَلَامُ وَقَالَ:

أَعَارَنِي إِبْرَةَ لَأَرْفُوَ أَطْمًا \*\*\* رَأَى عَفَاها الْبِلَى وَسَوَدَهَا

فَانخَرَمْتُ فِي يَدِي عَلَى خَطَا \*\*\* مَنِي لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا

فَلَمْ يَرِ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي \*\*\* بِإِزْشِهَا إِذْ رَأَى تَأْوَدَهَا

بَلْ قَالَ هَاتِ إِبْرَةَ تُمَائِلُهَا \*\*\* أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تَجْوَدَهَا

وَاعْتَقَاقَ مِيلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا \*\*\* هَيْكَ بِهِ سُبَّةً تَزْوَدَهَا

فَالْعَيْنُ مَرَهَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي \*\*\* تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفْكَ مِرْوَدَهَا

فَاسْبِرْ بِذَا الشَّرْحِ غُورَ مَسْكَنَتِي \*\*\* وَارِثِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَعْوَدَهَا

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ وَقَالَ: إِيه. بَغَيْرِ تَمْوِيهِ! فَقَالَ:

أَقْسَمْتُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَمَنْ \*\*\* ضَمَّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مِنِّي

لَوْ سَاعَفْتَنِي الْأَيَّامُ لَمْ يَرْنِي \*\*\* مَرْتَهَنَا مَيْلَهُ الَّذِي رَهْنَا

وَلَا تَصْدِيثُ أَبْتَعِي بَدَلًا \*\*\* مِنْ إِبْرَةِ غَالِهَا وَلَا ثَمْنَا

لَكِنَّ قَوْسَ الْخُطُوبِ تَرَشِّقْتَنِي \*\*\* بِمُصْنِمَاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا

وَحُبْرُ حَالِي كَحُبْرِ حَالَتِهِ \*\*\* ضُرًّا وَبُؤْسًا وَعُزْبَةً وَضَنِي

قد عدل الدهر بيننا فأنا \*\*\* نظيره في الشقاء وهو أنا

لا هو يستطيع فك مروده \*\*\* لما غدا في يدي مرتها

ولا مجالي لضيق ذات يدي \*\*\* فيه اتساع للعفو حين جنى

فهذه قصتي وقصته \*\*\* فانظر إينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما. وتبين خصائصهما وتخصصهما. أبرر لهما ديناراً من تحت مصلاه. وقال لهما: أقطعاً به الخصام وإفصلاه. فتلقفه الشيخ دون الحدث. واستخلصه على وجه الجد لا العيب. وقال للحدث: نصفه لي بسهم مبرتي. وسهمك لي عن أرض إبرتي. ولست عن الحق أميل. فقم وأخذ الميل. فعرا الحدث لما حدث اكتتاب. واكفهر على سمائه سحاب. وجم له القاضي. وهيج أسفه على الدينار الماضي. إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله. بدرهيمات رضخ بها له. وقال لهما: اجتنب المعاملات. وادرا المخاصمات. ولا تحضراني في المحاكمات. فما عندي كيس الغرامات. فنهضا من عنده. فرحين برفده. مفصحين بحمده. والقاضي ما يخبو ضجره. مذ بض حجره. ولا ينصل كمده. مذ رشح جلمده. حتى إذا أفاق من غشيته. أقبل على غاشيته. وقال: قد أشرب حسني. ونبرني حدسي. أنهما صاحب دهاء. لا خصما ادعاء. فكيف السبيل إلى سبرهما. واستنباط سرهما؟ فقال له نحرير زمرة. وشرارة جمرة: إنه لن يتم استخراج خبيهما. إلا بهما. فقفاهما عوناً يرجعهما إليه. فلما مثلاً بين يديه. قال لهما: اصدقاني سن بكركما. ولكما الأمان من تبعه مكركما. فأحجم الحدث واستقال. وأقدم الشيخ وقال:

أنا السروجي وهذا ولدي \*\*\* والشبل في المخبر مثل الأسد

وما تعدت يده ولا يدي \*\*\* في إبرة يوماً ولا في مرود

وإنما الدهر المسيء المعتدي \*\*\* مال بنا حتى غدونا نجتدي

كل ندي الراحة عذب المورد \*\*\* وكل جعد الكف مغلول اليد

بكل فن وبكل مقصد \*\*\* بالجد إن أجدى إلا بالدد

لنجلب الرشح إلى الحظ الصدي \*\*\* وننفد العمر بعيش أنكدي

والموت من بعد لنا بالمرصد \*\*\* إن لم يفاج اليوم فاجي في غد

فقال له القاضي: لله درك فما أَعَدَّ نَفَثَاتِ فَيْكَ. وواهاً لك لولا خِدَاعَ فَيْكَ! وإني لك لمن المُنذِرِينَ. وعلَيْكَ منَ الحَذِرِينَ. فلا تُماكِرْ بَعْدَهَا الحَاكِمِينَ. واتَّقِ سَطْوَةَ المُتَحَكِّمِينَ. فما كُلُّ مُسَيِّطِرٍ يُقِيلُ. ولا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ القَيْلُ. فعَاهِدَهُ الشَّيْخُ على اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ. والازْتِدَاعِ عن تَلْبِيسِ صُورَتِهِ. وفَصَلَ عن جِهَتِهِ. والخَتْرُ يَلْمَعُ من جِهَتِهِ. قال الحارثُ بنُ هَمَّامٍ: فلم أَرِ أعجَبَ منها في تصاريِفِ الأَسْفارِ. ولا قرأتُ مثله في تصانيفِ الأَسْفارِ.

شرح المقامة :

نوع المقامة وأساليبها:

النوع الأدبي: هذه المقامة هي المقامة الثامنة من مقامات الحريري وهي أيضاً نوع من المقامات العباسية النثرية الحكائية البلاغية.

أسلوبها:

مزيج من السرد والحكاية الواقعية مع البلاغة والفصاحة العالية.

تحتوي على حوارات بين الشخصيات (القاضي، الشيخ، الحدث) لإظهار الدهاء والحكمة.

استعمال المجاز والاستعارات والتشخيص لإضفاء طابع فني على النص.

الصور البلاغية في المقامة:

(أ) التشخيص :

النص يعطي أشياءً وأفعالاً صفات بشرية:

"الدَّهْرُ المُسِيءُ المُعْتَدِي مَالِ بِنَا..."

الزمن والمواقف وكأنها كائنات فاعلة تتحرك وتتوثر في الأبطال.

(ب) الاستعارة والمجاز

وصف الخصم بالغموض والدقة:

"أحدهما كأته قضيب البان"

وصف الإبرة والقيمة بطريقة فنية تجعلها رمزاً للذكاء والمهارة.

### ج) الطباق والمقابلة

النص مليء بالطباقات لتعزيز المعنى:

"تقياً من الدرن والشين"

"كل ندي الزاحة عذب المورد - وكلّ جدل الكف مغلول اليد"

يبرز التباين بين الخصمين وبين القوة والضعف، العدل والغبن.

### د) التكرار والإيقاع:

تكرار بعض العبارات والأساليب:

"ولا يسخو بموجوده - ويسمو عند جوده - وينقاد مع قرينته"

يخلق إيقاعاً موسيقياً ويشد الانتباه.

### الحكمة والموعظة:

المقامة تحمل رسائل أخلاقية واجتماعية:

قيمة العدل والمساواة.

دور القاضي الحكيم في الفصل بين الخصوم.

تعليم الصبر، ضبط النفس، والالتزام بالحق.

## أبو حيان التوحيدي (٣١٠-٤١٤هـ)

ولد علي بن محمد بن العباس التوحيدي في بغداد ، وكنيته أبو حيان ولقب بالتوحيدي نسبة إلى نوع من التمر كان ابوه يبيعه يسمّى (التوحيد) ، وكذلك نسبة إلى المعتزلة لأنهم يسمّون أنفسهم أهل العدل والتوحيد .

### ثقافته :

تعلم القراءة والكتابة في صغره ، وتعلم على يد النحوي السيرافي والرماني ، وتعلم الفلسفة والمنطق ، ومارس حرفة النسخ والنقل والتصحيح فساعدته هذه المهنة على التعرف على أمهات الكتب (البيان والتبيين للجاحظ ، الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، الأملالي للقالبي ، ادب الكاتب لابن قتيبة ...) .

### علاقته بكبار عصره :

لم يكن التوحيدي ناجحا في صلته بكبار عصره لأسباب منها :

- صراحته .
- اختلافه معهم في العقيدة والرأي .

فقد نفاه الوزير المهلبى من بغداد متهما إياه بالزندقة ، وذهب إلى خراسان واتصل بابن العميد ولكنه لم يجد عنده مايرضيه ففارقه إلى الري والتقى بالصاحب بن عباد ولم ينل حظوة لديه فغادره وعلى إثر ذلك ألف كتابه (مثالب الوزيرين ) ثار فيه أعنف ثورة على ابن العميد والصاحب بن عباد .

كان حظه مواتيا مع أبي عبدالله الوزير ، إذ نال إكرامه وعطفه واطلق لسانه في مدحه واصبح نديمه وسميره يلتقي معه في الليل ويقصّ عليه مايطيب له أو يسأله الوزير عما يبدو له من فكرة فيجيبه بعلم غزير فألف منها كتابه (الإمتاع والمؤانسة) .

لم تدم الراحة النفسية لأبي حيان في ظل الوزير ، إذ قُتل وخشي أبو حيان انه يلاحقه أعوان الوزير الجديد فاختلفى وهرب إلى شيراز وتردد على المتصوفة وعاش معهم بفقر شديد بعد شيخوخته ، إذ قال : (أمسيْتُ غريب الحال ...مستأنسا بالوحشة ، قانعا بالوحدة ، وملازما للحيرة ، يئسا من جميع ماترى) .

اشتدت عليه قسوة الحياة ولم تعد كتبه تنفعه فأقبل عليها غاضبا ومزقها ثم احرقها .

لم يتزوج التوحيدي ولم يكون أسرة لنفسه بل ظل وحيدا غريبا شقيا حتى مات .

**أشهر كتبه :**

- الإمتاع والمؤانسة .
- الصداقة والصديق .
- مثالب الوزيرين .
- الهوامل والشوامل : فيه موضوعات أدبية واجتماعية ونفسية .
- المقابسات : أغلبها فلسفة وتصوف .
- البصائر والذخائر .
- الإشارات الإلهية .

**سمات اسلوبه :**

اتسم اسلوب التوحيدي بترابط الأفكار ، والبعد عن التصنع ، ورفع راية اسلوب الترسل في مجمل كتاباته .

لخص التوحيدي ثقافة الكاتب قائلا : ( يجب ان يكون الكاتب حافظا لكتاب الله وان يعرف السنة والأخبار حافظا لكثير من الرسائل والكتب وان يكون ذكيا عارفا بما يحتاج إليه ... نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام حاد السكين صقيل الكاغد صلب الأقدام متودد إلى الناس غير متكبر عليهم ولامنتقص منهم عذب السجايا حسن المحاضرة ) .

وحذر من الإنخداع بالناس بعد تجاربه المريرة مع الأصدقاء ، فقال : ( لقد صحبت الناس اربعين عاما ، فما رأيتهم غفروا لي ذنبا ، ولاستروا لي عيبا ، ولاحفظوا لي غيبا ، ولا أقالوا لي عثرة ، ولارحموا لي عبرة ، ولاقبلوا مني عذرة ، ولافكّوني من أسرة ، ولاجبروا مني كسرة ، ولابدلوا لي نصررة ) .

## نموذج من كتاب المقابسات

قال التوحيدي : (( ما الحكمة ؟ هي حقيقة العلم بالأشياء ووضع كل شيء في موضعه ... .

مالحقد؟ هو غضب يبقى في النفس على وجه الدهر .

مالفرح؟ هو انبساط النفس من الداخل إلى الخارج والخوف ضد ذلك .

مالحياء؟ هو خوف الإنسان من التقصير .

البخيل الغني كالجبان القوي .

الصديق هو أنت إلا انه بالشخص غيرك (...)) .

## الحكايات والأخبار : المفهوم والخصائص وأهم الأنواع :

**مفهوم الحكاية :** هي نقل الأحداث كما هي دون زيادة أو نقصان مع الدقة والضبط في عملية النقل بشكل يجعلها متكاملة الصورة غير مفككة كالعقدة المفتوحة .

وتعرف بأنها : لون من ألوان القصص ، تعتمد على عناصر هذا النوع الأدبي الرئيسية من سرد وتشويق وامتناع وافادة ، إلا انها متحللة إلى حد بعيد من الإلتزام بشروط النوع القصصي وعناصر تكامله الفني فهي تضرب ارض الخيال والمغامرات وتتخذ ابطالها من الإنس والجن وتتسج احداثها من خيوط الخوارق واللامعقول ، كما قد تقتحم غمار الواقع المعيش ، وتري احداثا من صميم الحياة ، غير انها تعتمد اساسا على راوية يروي ويصف ويرسم ، وليس على تحرك الأشخاص وسلوكهم ، ومبادرتهم النفسية والفكرية .

وهي تمثل نوعا فنياً مستقلا قوامه السرد المباشر الذي يكون اداة تشويق واثارة في عرض الحدث واقعا كان أم خياليا .

## أنواع الحكايات :

إن الحكاية تختلف باختلاف هدفها وغايتها ومدى صدقها وخيالها ، لذا نجد أن هناك حكايات خرافية ، كحكايات الجان وغيرها ، وحكايات واقعية وهي التي تمثل جوانب تاريخية ، وحكايات رمزية خرافية كالحكايات التي دارت على ألسنة الحيوانات ، ولكل نوع من أنواع الحكايات خصائص تميزها عن غيرها .

### خصائص الحكايات :

- تتنوع أحداث الحكاية بين أحداث حقيقية متوارثة، وأخرى وهمية يستقي فيها الإنسان الأحداث من خياله.
- تختلف أشكال الحكايات، إذ يمكن أن تكون نثرية، أو شعرية في طبيعتها.
- تتعدّد أغراض الحكاية، إذ قد تكون بداعي المتعة، أو التعليم، أو إيصال حكمة ما للسامع أو القارئ.
- تختلف الحكاية عن الرواية بكونها أقصر منها.
- تتسم الحكاية بقدر من المرونة الكافية لإضافة ما يرغب به القاص من تفاصيل وأحداث، وذلك لأنها غير مؤطرة بزمان ومكان محدّدين على الأغلب.
- تأخذ الحكاية -على الأغلب- شكل الوصف السردي المنطوق.

### نموذج تطبيقي :

#### قصة السندباد البحري

كان يا ما كان، في مكانٍ يُدعى بغداد، كان هناك فتى اسمه سندباد، وهو ابن تاجرٍ غنيٍّ، لكنه فقد ثروته. وكان سندباد يحب البحر كثيرًا، فقرر القيام برحلةٍ بحرية.

استمرت هذه الرحلة زمنًا طويلًا، إلى أن وجدوا جزيرة ليرتاحوا عليها. وبعد أن نزلوا إليها ليستعدوا لتناول الطعام، بدأت الجزيرة بالتحرك! واتضح أنها لم تكن جزيرة، بل كانت ظهر حوتٍ ضخمٍ قد نمت الأشجار فوقه لطول فترة نومه.

وبينما يحاول سندباد اللحاق بالسفينة، سقط في البحر. لكن زملاءه: علاء الدين، وعلي بابا، وباسمينة (الطائر) استطاعوا النجاة والعودة إلى السفينة، فيما استمر سندباد بالسباحة حتى وصل إلى اليابسة.

حين وصل، اكتشف أنه في مملكةٍ مجهولة. فاستقبله جنود الملك وأخذوه إلى القصر ليحكى قصته الغريبة. أعجبت القصة الملك، فعرض عليه العمل في تسجيل البضائع. عمل سندباد بالفعل، لكنه شعر بالملل؛ لأن هذه الوظيفة خلت من المغامرات والترحال.

وبالصدفة، جاءه تاجر من بغداد لتسجيل بضائعه، فطلب منه سندباد أن يعيده معه إلى وطنه. وهكذا عاد أخيراً إلى بغداد.

لم يلبث طويلاً حتى اشتاق للمغامرة والبحر، فقرر العمل في التجارة عبر البحار. وأثناء إحدى رحلاته، وجد جزيرةً جديدة، فأرسل السفينة ليقتني وقتاً عليها. لكن لسوء حظه، رحلت السفينة وتركته وحيداً.

في يأسه، عثر على بيضة ضخمة، وفجأة جاء طائر عملاق. فربط سندباد نفسه بجناح الطائر على أمل أن يحمله بعيداً. هبط الطائر فعلاً، لكن سندباد سقط في حفرة عميقة تعجّ بالثعابين. ومع ذلك، لم تقترب منه، خوفاً من الطائر.

حين نظر حوله، وجد المكان مليئاً بالياقوت. ثم رأى قطعة لحم ضخمة قد رماها أحد التجار في الحفرة، ليحملها الطائر لصغاره. عندها خطرت له فكرة ذكية: ربط نفسه بالقطعة، وحين حملها الطائر، خرج سندباد من الحفرة. وعند عَشِّ الطائر، التقى بالتاجر الذي رمى اللحم، فشكره سندباد لأنه أنقذ حياته دون أن يدري. ثم أعطى التاجر سندبادَ بعض الياقوت مكافأةً له.

### الدروس المستفادة من الحكاية :

١. السعي دوماً في طلب الرزق هو الحل الصائب، فيجب على الإنسان الاجتهاد دوماً، والسفر والتعلم وتكوين العلاقات التي تساعد في تحقيق أهدافه والاستفادة من خبرتهم في الحياة.
٢. كما يجب الاستعانة دوماً بمن هم أكثر خبرة منا، كما فعل السندباد مع علاء الدين وعلي بابا، فكان دوماً يستعين بحكمتهم وذكائهم، والتعلم من مهاراتهم.
٣. الإيمان بأهمية تحقيق الأهداف، ومعرفة أنه لا يوجد مستحيل في تلك الحياة، فمن يرغب في شيء يجب أن يسعى عليه حتى يحققه.
٤. الخير ينتصر دوماً، والشر مهما كبرت قوته فسيأتي عليه اليوم الذي يُهزم فيه.

## أولاً: التصوير البياني:

الجزيرة الحوت: صورة بلاغية قوية، إذ صُوِّر الحوت على هيئة جزيرة نامت فوقه الأشجار، وهذا من التشبيه التمثيلي (تشبيه حالة الحوت الراكد بجزيرة ثابتة).

الطائر العملاق: رمز للقوة والقدرة على الانتقال من مكان إلى آخر، وهو استعارة تصريحية للطريق أو الوسيلة للخلاص.

الثعابين تخاف من الطائر: هنا كناية عن هيبة الطائر وقوته، وفي الوقت نفسه تكثيف لعنصر الرهبة والخطر.

الياقوت يملأ المكان: صورة حسية تثير البهجة وتدل على الغنى والكنز، وفيها مبالغة مقصودة لإبراز المفاجأة.

## ثانياً: المعاني والأسلوب:

النص يجمع بين الواقعي والعجائبي، وهو من خصائص السرد القصصي القديم (مثل ألف ليلة وليلة).

الانتقال من مشهد إلى آخر قائم على المفارقة:

من الراحة على الجزيرة - إلى المفاجأة بأنها حوت.

من الغرق - إلى النجاة والوصول للمملكة.

من الوظيفة المملة - إلى مغامرة جديدة.

من الحفرة المظلمة - إلى الخلاص بالذكاء.

هذه المفارقات تضيف التشويق وتكسر رتابة السرد.

## ثالثاً: الجماليات البلاغية:

التكرار الفني: فكرة العودة إلى البحر مراراً، فيها إيقاع ومعنى بلاغي يوحي بأن المغامرة قدر سندباد.

## الطباق والمقابلة:

بين (الملل من الوظيفة ↔ التشويق في البحر).

بين (الخطر ↔ النجاة).

### الإيجاز والإطناب:

إيجاز في لحظة وصف الأحداث المفصلية ("ربط نفسه بالطائر").

إطناب عند وصف الأماكن (الحوت، الجزيرة، الحفرة المليئة بالياقوت) لخلق صورة حسية ممتدة.

### رابعًا: القيم البلاغية الرمزية:

البحر = رمز للمغامرة والبحث عن الذات.

الجزيرة/الحوت = رمز للمفاجآت في طريق الحياة.

الطائر = رمز للحرية والحلول غير المتوقعة.

الثعابين = رمز للخطر الكامن في باطن الأرض.

الياقوت = رمز للثروة التي تأتي بعد الصبر والمخاطرة.

### الخبر:

تعريف الخبر : هو المفهوم الاصطلاحي الذي يعني أصغر وحدة حكاية تبنى على سند ومتن ، ويصدر الخبر من مُخبرٍ إلى مخاطب مع وجود فاصل زمني .

يتأسس فن الخبر الأدبي على دعامتين نصيتين هما : المتن ، والسند ، ويشير المتن إلى الحمولة الدلالية والمضمونية للخبر ، في حين ان السند يجسد طريقة تناقله ، والصيغ الفعلية ، وسلسلة الرواة الذين اسهموا في ذلك .

### انواع الخبر :

يقسّم الخبر إلى خبر واقعي ، ولاواقعي ، فالواقعية هي الأخبار التاريخية المتمثلة بالأحداث والمعارك والوفيات ... أما غير الواقعية فهي الأخبار الخيالية المتعلقة بالجن والمنامات ، والخرافات .

بالإمكان تقسيم الخبر على وفق مقاصده إلى :

١. خبر لتوصيل المعرفة للمتلقي ، كقصص الأنبياء والقصص الدينية والتاريخية ، ويكون هدفه التعرف والإخبار ، مثل الخبر الآتي : (حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أول من خطَّ بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا من قبله يلبسون الجلود ) فهنا ينقل معلومة ووظيفته لاتتعدى الإبلاغ .

٢. خبر لخلق الإنفعال لدى المتلقي بقصد التدبر ، كما في المواعظ المحكية ، مثل : (أحتضر فتى كان فيه زهو، فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان، فقال لهما: ما يبكيكما؟ قالا: الخوف عليك لإسرافك على نفسك؛ فقال: لا تبكيا، فوالله ما يسرنى أن الذي بيد الله من الرحمة بأيديكما) .

٣. خبر لخلق انفعال بقصد الإضحاك ، كما في الملح والنوادر والطُرف وأخبار الحمقى والمغفلين ، وهي للنفكّه مثل مانقله الخطيب البغدادي من أخبار الطفيليين : (أخبرنا أبو بكر أحمد بن سليمان بن علي المقرئ، أخبرنا عبيد الله بن محمد البزاز، أخبرنا جعفر بن محمد بن القاسم، أخبرنا أبو العباس الطوسي، أخبرنا محمد بن سعد، قال: قلت لطفيلي مرة: ويلك! تأكل حراماً؟! قال: ما أكلت قط إلا حلالاً. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأنني إذا دخلت داراً لقوم قصدت باب النساء، فيقولون ههنا ههنا، فقولهم: ههنا هو دعوة، فما أكل إلا حلالاً) .

٤. خبر لخلق اللذة الروحية كأخبار العشاق والجواري والغلمان والمتماجنين وهدفها اللذة ، ونجد هذه الأخبار مبنوثة في كتب الجاحظ وفي كتاب الأغاني للأصفهاني ، وفي كتاب الديارات للشابشتي .

الفرق بين الأخبار الجديّة والهزلية :

يتجلى الفرق بينهما في بنية الشخصيات فالخبر الهزلي دائماً مايرتبط بالشخصيات الهامشية الغريبة المضحكة المثيرة للسخرية ، على العكس من الأخبار الجديّة التي يُختار لها شخصيات متزنة تحمل طابعا عقلياً ، وهذه الأخبار اذا تراكمت على اساس موضوعي واحد تتحول إلى حكاية.